القسم الثاني

الأخوة الدينية والوحدة الإسلامية

بقلم

الدكتور / أحمد عبد الرحيم السايح
جامعة الأزهر - كلية أصول الدين
وجامعة قطر - كلية الشريعة

obeikandl.com

obeikandl.com

مدخـــل :

الإسلام الحنيف جاء ليربط المسلمين جميعاً برباط هو أوثق الروابط ، وهو رباط الأخوة التي تزول معها جميع الفوارق من نسب عريق ، ومال وفير ، وجاه عريض ، إلى غير ذلك مما درج الناس على اعتباره من المميزات والفوارق بين الناس .

فأي إنسان مهما كان عريق النسب ، أو كثير المال ، أو كان له شأن في بيئته . فهو أخ لمن دونه نسباً ، وشقيق لمن هو أقل منه مالاً ، وأحط شأناً في المنزلة الاجتماعية [١] .

ولقد كانت دعوة محمد ﷺ دعوة إلى الناس كافة ، مهما تختلف أرضهم وأجناسهم ، وألوانهم ، وأوائل من أجابوا الدعوة تتلاقي فيهم عناصر مختلفة [٢] .

روى الإمام أحمد أن أول من أظهر الإسلام سبعة : رسول الله ﷺ وخديجة ، وأبو بكر ، وبلال ، وعمار ، وأمه سمية ، والمقداد ابن الأسود [٣] .

وليست رواية الإمام أحمد في بيان أول الناس إسلاماً ، وإنما فى بيان من أظهروا الإسلام [٤] يقول رسول الله ﷺ : « **أنا سابق**

---

(١) انظر الشيخ سيد سابق : عناصر القوة في الإسلام ، ص ١٨١ ط دار الكتاب العربي ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

(٢) انظر الشيخ محمد أبو زهرة : الوحدة الإسلامية ، من بحوث المؤتمر السادس لمجمع البحوث الإسلامية ص ٤٩ ط. مجمع البحوث بالأزهر ١٣٩١ هـ .

(٣) رواه أحمد في كتابه « المسند » الجزء الأول ص ٤٠٤ .

(٤) الشيخ محمد أبو زهرة ، الوحدة الإسلامية ، ص ٤٩ .

العرب إلى الجنة ، وصهيب سابق الروم إلى الجنة ، وبلال سابق الحبشة إلى الجنة ، وسلمان سابق الفرس إلى الجنة » [١] .

والمجتمع الإسلامي الأول كان يكوِّن وحدة مؤتلفة ، متنوعة ، ففى هذا المجتمع ذو النسب ، وفيه الضعيف ، وفيه من اختبرهم الله بالرق ، وإن لم ينل نفوسهم ذلة ، وفيهم الرجال والنساء ، وفيهم العربي والحبشي [٢] . وقد بين الرسول ﷺ نظام المؤاخاة في الإسلام ، وجعل لهذه المؤاخاة قوة أخوة النسب ، وقد بدأ هذا الاتجاه في مكة قبل الهجرة ، فلما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة اتسع نطاق المؤاخاة بين المسلمين [٣] .

قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة ، فآخى الرسول ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري ، فقال سعد : أخي : أنا أكثر أهل المدينة مالاً . فانظر شطر مالى فخذه . وتحتي امرأتان ، فانظر أيتهما أعجب إليك حتى أطلقها لك ، فإذا حلت تزوجتها ..

فقال عبد الرحمن بن عوف : بارك الله لك في أهلك ومالك ، دلوني على السوق ، فدلوه على السوق ، فاشترى وباع ، فربح [٤] .

فها هو سعد بن الربيع – رضى الله عنه – لا يرضى أن يعيش شبعاناً ، وأخوه في الإسلام جائع ، بل لا يكفيه أن يشبعه ويؤويه ، بل يدعوه إلى مشاطرته في ماله ، ومشاركته فيه ، ولا يقبل أن يبيت وله

---

(١) رواه الهيثمي ، في « مجمع الزوائد » ، باب « فضل صهيب وغيره » ، الجزء التاسع ص ٣٠٥ .

(٢) الشيخ محمد أبو زهرة ، الوحدة الإسلامية ، ص ٥٠ .

(٣) راجع : الدكتور أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامية ، الجزء الأول ص ٢٦٩ .

(٤) البخاري مع فتح الباري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب إخاء النبي ﷺ ج ٧ ص ١١٢ .

زوجتان ، وأن يبيت أخوه في الإسلام أعزب ليس له زوجة ، فيعرض عليه أن يختار إحداهما ليطلقها فيتزوجها ، فأي شعور أنبل من هذا الشعور ، وأي أخوة أعظم وأصدق من هذه الأخوة ؟ [١] .

ومؤمنو مكة على اختلاف قبائلهم ماعرفنا لهم اسماً في التاريخ إلا المهاجرين . ومؤمنو المدينة على اختلاف قبائلهم ما عرفنا لهم اسماً في التاريخ إلا الأنصار [٢] . والإسلام لم يكتف بإطلاق اسم المهاجرين على المؤمنين من أهل مكة الذين هاجروا إلى المدينة ، ولم يكتف أيضاً بإطلاق اسم الأنصار على قبيلتي الأوس والخزرج ، مع أن إطلاق اسم الأنصار والمهاجرين كان كافياً لإعطاء المعني الإسلامي الدال على الأخوة [٣] .

لم يكتف الإسلام بهذا ، وإنما عمل على كل ما من شأنه أن يدعم مسيرة المسلمين ويأخذ بهم إلى مراقي الفلاح والتقدم ، ولذا نجد رسول الله ﷺ يبدأ في البناء الأخوي الكامل ، ليقيم وحدة المسلمين على أساس أصيل .

قال ابن إسحاق : آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال – فيما بلغنا – : « **تآخوا في الله أخوين أخوين** » [٤] .

---

(١) راجع : شريدة عبد الله ، جولة مع الرعيل الأول من أمة الإسلام ص ٣٦ ، ط. الدار السلفية ١٤٠٦ هـ .

(٢) انظر : مجلة البحوث الإسلامية ، العدد الأول ، ص ١٦ ، الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء بالرياض .

(٣) د. أحمد السايح ، فلسفة الحضارة الإسلامية ، ص ٣١ ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م ، القاهرة .

(٤) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ٢ ص ٥٠٥ ، وابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج ١ ص ٢٤٢ .

لقد بلغ المسلمون الأوائل درجة عليا ، ومكانة عظمي ، في حبهم لبعضهم ، وتكامل أخوتهم ، حتى كانوا يؤثرون إخوانهم على أنفسهم ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

ولا يخفى أن قوة الإيمان بالله والتصديق برسوله ﷺ تجعل النفس الإنسانية تشرق بالكثير من صفات الخير ، وتتخلق بالآداب والفضائل العظيمة .

لقد صنع الإيمان وهذا التصديق جماعة اصطبغ سلوكهم بالشمائل الجليلة ، فكانوا يؤثرون إخوانهم بأموالهم وديارهم على أنفسهم ، ويقدمون حاجة إخوانهم على حاجتهم ، حبّاً لهم ، ورغبة في أخوتهم (٢) .

والذين سكنوا المدينة ، وأشربت قلوبهم حب الإيمان قبل هجرة أولئك المهاجرين ، لهم صفات كريمة ، وشيم جليلة ، تدل على كرم النفس ، ونبل الطباع (٣) ، ولذا كانوا يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم ، ويبدأون بالناس قبلهم ، وفي حال احتياجهم إلى ذلك ، وهؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به ، وهؤلاء آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه (٤) .

وجاء أن رسول الله ﷺ قسم أموال بني النضير على المهاجرين

---

(١) سورة الحشر ، الآية رقم : ٩ .

(٢) انظر : الدين والحياة ، عدد رقم ١٩ ، ص ٦ ، وزارة الأوقاف ، مصر .

(٣) انظر : تفسير الإمام المراغي ، ج ٢٨ ص ٤٣ .

(٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ، ص ٣٢٨ .

ولم يعط الأنصار إلا ثلاثة نفر : أبا دجانة سماك بن خرشة ، وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة ، وقال لهم : « **إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة ، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ، ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة** » .

فقالت الأنصار : بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ، ونؤثرهم بالغنيمة ، ولا نشاركهم فيها .

وقال رسول الله ﷺ للأنصار : « **إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم** » .

فقالوا : أموالنا بيننا قطائع ، فقال رسول الله ﷺ : « **أو غير ذلك ؟** » .

فقالوا : وما ذاك يارسول الله ؟

قال : « **هم قوم لا يعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم التمر** » فقالوا : نعم يارسول الله [١] .

نعم : إن الإيمان الصادق إذا صادف قلوباً هيئت له ، تمكن فيها ، ونما وترعرع ، وأشرقت آثاره على من حولها ، وسعى أصحاب هذه القلوب المؤمنة فى بذل ما يرضى من حولهم من المؤمنين ، وكان أصحاب رسول الله ﷺ من خيرة من تمسك بفضيلة الإيثار ، حرصاً على أخوة الإسلام ، والتوادد في ظلال الإيمان [٢] ، قال تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [٣] .

---

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ، ص ٣٣٨ ، وانظر الزمخشري ، الكشاف ج ٤ ص ٨٤ .

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ص ٣٣٧ ، والحديث رواه البخاري .

(٣) سورة الفتح ، الآية رقم ٢٩ .

لقد كان من فضل الله – سبحانه وتعالى – على الأمة الإسلامية ، أن يسر لها طريق الوحدة الكاملة ، والرابطة القوية ، والتجمع الهائل ، بما أرسل لها من رسول رحيم ، وبما أعطاها من كتاب كريم ، وبما كلفها من عقيدة ، فكانت أخوة المسلمين فوق كل الحواجز الجنسية ، والعرقية ، والقومية ، والحزبية والسياسية .

هذه الأخوة ربطت بين المسلمين ، ووحدت صفوفهم ، وجعلتهم أمة واحدة ، لها شأنها واعتبارها ، وإن الباحث في وحدة الأمة الإسلامية يجد أن الإسلام أقام هذه الوحدة على أسس ثابتة ، ودعائم قوية ، وأصول لا تبلى .. وأهم هذه الأصول :

أولا : وحدة الأصل الإنساني :

فإن الناس جميعاً على اختلاف أجناسهم ، وتمايز ألوانهم ، وتباعد أقطارهم ، إنما يرجعون إلى أب واحد ، وأصل واحد ، فأبوهم آدم ، وأمهم حواء .

ولطالما ذكر القرآن الكريم للمسلمين هذه الحقيقة ، وبيَّنها لهم في أساليب شتى ، وآيات متعددة ، لكي يضعوها دائماً في اعتبارهم ، ويرعوها حق رعايتها ، ومن ذلك أن يعيشوا متآخين متحدين ، وكأنهم أعضاء لجسد واحد ، أو لبنات في بناء واحد ، يشد بعضه بعضاً .

قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (١) .

---

(١) سورة النساء ، آية رقم ١ .

فالله – سبحانه وتعالى – خلق الناس من نفس واحدة ، أي : من أصل واحد ، وَجَعْلُهُ – سبحانه وتعالى – إيَّاهُم صنوفاً مفرَّعة من أرومة واحدة ، من موجبات الاحتراز عن الإخلال بمراعاة ما بينهم من حقوق الأخوة [١] .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ [٢] .

فالله – سبحانه وتعالى – هو الذي أنشأكم من نفس واحدة ، هى : الإنسان الأول ، الذي تسلسل منه سائر الناس بالتوالد ، وهو آدم – عليه السلام – وفي إنشاء جميع البشر من نفس واحدة آيات بينات على قدرة الله وعلمه وحكمته ووحدانيته ، وفي التذكير بذلك إيماء إلى ما يجب من شكر نعمته ، وإرشاد إلى ما يجب من التعرف والتعاون بين البشر ، وأن يكون هذا التفرق إلى شعوب وقبائل مدعاة إلى التآلف ، لا إلى التعادي والتقاتل ، وبث روح العداوة والبغضاء بين الناس [٣] .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [٤] فهى نفس واحدة في طبيعة تكوينها ، وإن اختلفت وظيفتها في الذكر والأنثى [٥] .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [٦] .

---

(١) القاسمي ، محاسن التأويل ، ج ٥ ، ص ١٠٩٤ ، بتصرف .
(٢) سورة الأنعام ، آية رقم ٩٨ .
(٣) مصطفى المراغي ، تفسير القرآن ، ج ٧ ، ص ٢٠١ .
(٤) سورة الأعراف ، آية رقم ١٨٩ .
(٥) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ٣ ، ص ١٤١١ .
(٦) سورة الحجرات ، آية رقم ١٣ .

فهذه الآية العظيمة – كما ترى – : تقرر أصلا من أصول الإسلام ، وهو المساواة بين الناس ، وكان العالم قبل انبثاق نور الإسلام يموج في الظلم ويضطرب في الفساد ، وتسوده الهمجية ، والعصبية الجاهلية ، وتخيم عليه ضلالات العصور القديمة ، وقد نشر الرعب أجنحته على الدنيا وزاد الفساد والتفاخر في الأنساب .

في هذه الظلمة الداكنة : ينبثق فجر الإسلام ، فتبدّد أنواره تلك الغيوم السوداء ، وتنزل هذه الآية الكريمة ، لتقرر مبدأ إنسانياً عظيماً ، وهو إعلان المساواة بين البشر ، كل البشر [١] .

فالناس جميعاً من أب واحد ، وأم واحدة ، وما جعلهم شعوباً وقبائل مختلفة إلا ليحصل بينهم التعارف والتعاون في مصالحهم المختلفة ، ولا فضل لواحد على آخر إلا بالتقوى ، والصلاح ، وكمال النفس [٢] .

وإذا كان هذا شأن القرآن الكريم في تأكيد هذه الحقيقة التي تقرر أن الناس جميعاً ، من أب واحد ، وأم واحدة ، فإن السنة النبوية جاءت كذلك مذكرة الناس بحقيقة رجوعهم إلى أب واحد ، وأصل واحد ، توضيحاً لتعاليم القرآن الكريم ، وتقريرا لمبادئه .

ومن ذلك ما روي عن النبي ﷺ أنه خطب الناس بمنى [٣] في وسط أيام التشريق ، وهو على بعير ، فقال : « **أيها الناس : ألا إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي**

---

(١) محمد محمود الصواف ، نظرات في سورة الحجرات ، ص ١٤٧ ، ط. مؤسسة الرسالة بيروت .

(٢) مصطفى المراغي ، تفسير القرآن ، ج ٦ ، ص ١٤٢ .

(٣) هي : بلدة قريبة من مكة ، تبعد عنها بنحو ستة كيلومترات ، وهي إحدى مشاعر الحج ، وفيها مرمى الجمار ، ومذبح الهدي ، وبها مسجد الخيف . (محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، ج ٢ ، ص ١٧٦٣) .

علي عربي ، ولا لأسود على أحمر ، ولا لأحمر على أسود ، إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم . قال : فليبلغ الشاهد الغائب » [١] .

وعن أبي مالك الأشعري ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله لا ينظر إلى أحسابكم ، ولا إلى أنسابكم ، ولا إلى أجسامكم ، ولا إلى أموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم ، فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليه ، وإنما أنتم بنو آدم ، وأحبكم إليه أتقاكم** » [٢] .

وإذا كان الخطاب في الآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة عامّاً لكل الناس – كما نرى – فإن المسلمين هم أحق وأجدر باتباع هدي كتاب ربهم ، والاستمساك بتعاليم نبيهم .

ثانياً : وحدة العقيدة :

ومن الأصول الأساسية التي جاء بها الإسلام ، وتعد من أهم الركائز لوحدة المسلمين ، مهما اختلفت بهم الأقطار ، ومهما تباينت جنسياتهم ، وتمايزت ألوانهم : وحدة العقيدة ، فعقيدة المسلمين واحدة ، لا تختلف باختلاف جنس من الأجناس ، أو لون من الألوان ، أو مصر من الأمصار ... كلا بل هي واحدة دائماً عند كل المسلمين ، تقوم علي الإيمان بالله ، وبرسوله ﷺ وبكل مافي القرآن الكريم ، وأن الإسلام هو الإسلام ، والقرآن هو القرآن [٣] . « وأساس العقيدة : هو الإيمان بوجود الله تعالى ، بل إن ذلك هو أساس الدين كله ؛ لأن الإيمان بالله

---

(١) رواه أحمد في مسنده ، ج ٥ ، ص ٤١١ .
(٢) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم ظلم المسلم ، ج ٤ ، ص ١٩٨٧ .
(٣) د. أحمد السايح ، مجلة الجامعة الإسلامية ، ص ١٣٤ ، العدد الثاني ، من السنة التاسعة ، الصادر في شهر رمضان ، سنة ١٣٩٦ هـ ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

يدفع الإنسان إلى التصديق بكل ما أخبر به ، وتنفيذ كل ما أرشد إليه من أمر ونهي » [١] .

وقد عبّر القرآن الكريم عن العقيدة : بالإيمان ، والعقيدة في الوضع الإسلامي هى الأصل [٢] ، وعناصر هذه العقيدة : مبثوثة في آيات كثيرة من القرآن الكريم ، ومن أجمعها على سبيل التمثيل :

(١) قوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْأَخِرِ وَالْمَلَئِكَةِ وَالْكِتَـٰبِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَـٰكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَى الزَّكَوٰةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ وَالصَّـٰبِرِينَ فِي الْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُو۟لَـٰٓئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [٣] .

قال ابن كثير : اشتملت هذه الآية على جمل عظيمة وقواعد عميمة ، وعقيدة مستقيمة [٤] .

والآية – كما ترى –: مشتملة على خمس عشرة خصلة ، وترجع إلى ثلاثة أقسام .

فالخمسة الأولى منها : تتعلق بالكمالات الإنسانية ، التي هى من قبيل صحة الاعتقاد ، وآخرها ، قوله : (وَالنَّبِيِّنَ) وافتتحها بالإيمان بالله واليوم الآخر ، لأنهما إشارة إلى المبدأ والمعاد .. .. والستة التي بعدها : تتعلق بالكمالات النفسية ، التي هي من قبيل حسن معاشرة

---

(١) د. أحمد غلوش ، الدعوة الإسلامية ، ص ١٦ .

(٢) محمود شلتوت ، الإسلام عقيدة وشريعة ، ص ٦ ، بتصرف .

(٣) سورة البقرة ، آية رقم ١٧٧ .

(٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص ٢٠٧ .

العباد ، وأولها (وَآتَي الْمَالَ) ، وآخرها : (وَفِي الرِّقَابِ) .. .. والأربعة الأخيرة تتعلق بالكمالات الإنسانية ، التي هي من قبيل تهذيب النفس ، وأولها : (وَأَقَامَ الصَّلاةَ) ، وآخرها (وَحِينَ الْبَأْسِ) . ومن عمل بهذه الآية : فقد استكمل الإيمان ، ونال أقصى مراتب الإيقان » [١] .

(٢) وقال تعالى : ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ ﴾ [٢] .

والإيمان بالله ، هو : التصديق به ، وبصفاته ، وبأسمائه ، ورفض الأصنام وكل معبود سواه .

والإيمان بالملائكة ، هو : اعتقاد وجودهم ، وأنهم عباد الله ، ورفض معتقدات الجاهلية فيهم .

والإيمان بكتبه ، هو : التصديق بكل ما أنزل على الأنبياء الذين تضمن ذكرهم كتاب الله المنزل على محمد ﷺ أو ما أخبر هو به [٣] .

إن هذه الآية الكريمة صورة للمؤمنين . وللجماعة المختارة ، التي تمثلت فيها حقيقة الإيمان فعلاً ، ولكل جماعة تتمثل فيها هذه الحقيقة الضخمة الهائلة ، ومن ثم كرمها الله – سبحانه وتعالي – وهو يجمعها في حقيقة الإيمان الرفيعة من الرسول ﷺ وهو تكريم تدرك حقيقته الجماعة المؤمنة ، لأنها تدرك حقيقة الرسول العظيمة ، وتعرف أي مرتقى

---

(١) الألوسي ، روح المعاني ، ج ١ ، ص ٣٥٩ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٨٥ .

(٣) ابن عطية الأندلسي ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج ٢ ، ص ٣٨٦ ، ط. وزارة الأوقاف ، بالمغرب ، سنة ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .

رفعها الله إليه عنده ، وهو يجمع بينها ، وبين الرسول ﷺ في صفة واحدة في آية واحدة ، من كلامه الجليل [١] : ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ .. ﴾ [٢] إنه الإيمان الكامل الشامل ، الذي جاء به هذا الدين ، الإيمان الذي يليق بهذه الأمة الوارثة لدين الله ، القائمة على دعوته في الأرض إلى يوم القيامة ، السائرة في موكب الدعوة ، وموكب الرسول ، وموكب الإيمان الممتد في شعاب التاريخ البشري .. الإيمان الذي يتمثل البشرية كلها ، منذ نشأتها إلى نهايتها [٣] .

(٣) وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا ﴾ [٤] .

قال ابن كثير : يأمر الله – تعالى – عباده المؤمنين بالدخول في جميع شرائع الإيمان ، وشعبه وأركانه ، ودعائمه ، وليس هذا من باب تحصيل الحاصل ، بل من باب تكميل الكامل ، وتقريره وتثبيته والاستمرار عليه [٥] .

ومن أجمع ما ورد من حديث رسول الله ﷺ في عقيدة المسلمين ، ما جاء عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : « **بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، والحج** » [٦] .

---

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ١ ، ص ٣٤٠ .
(٢) سورة البقرة ، آية رقم ٢٨٥ .
(٣) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ١ ، ص ٣٤٠ ، ٣٤١ ، بتصرف .
(٤) سورة النساء ، آية رقم ١٣٦ .
(٥) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص ٥٦٦ .
(٦) رواه البخاري في صحيحه مع فتح الباري ، كتاب الإيمان ، باب : دعاؤكم إيمانكم ، ج ١ ص ٤٩ .

وعن العباس بن عبد المطلب – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال : « **ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا وبالإسلام دِينًا وبمحمد رسولاً** » [١] . إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة الواردة في عقيدة المسلمين ، وهي في حقيقتها مبينة لما جاء به القرآن الكريم ، وموضحة له .

وعقيدة المسلمين واحدة لدى كل المسلمين ، في شرق الأرض وغربها ، وشمالها ، وجنوبها ، تجتمع عليها قلوبهم ، وتحفظها عقولهم وتستيقنها نفوسهم .

ووحدة العقيدة جددت بين المسلمين ما مضى من قرابة الدم القائمة بينهم ، وإذا كانت أبوة آدم – عليه السلام – أبوة مادية ، تجمع بين الأمة الإسلامية ، وتوحد بينها في الأصل ، فإن العقيدة الإسلامية هى أبوة روحية ترجع إليه فروع المؤمنين ، والحق أن المؤمن حينما يستشعر جلال هذا الأصل الروحي ، الذي يجمعه وإخوانه المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، إلى جانب الأصل المادي الذي يرجعه معهم إلي أبوة واحدة ، فإنه حينئذ يشعر أنه إنما يحيا بإخوانه ، ويحيا لهم كأنه غصن من أغصان شجرة عظيمة ، يحيا بحياتها ، ويموت بموتها .

وإن رابطة العقيدة في الإسلام أعلى وأقوى من رابطة الدم والنسب ، والمساكنة في الوطن ، والمشاركة في القومية .

وهذا الأساس : هو المنطلق الوحيد للخروج من قوقعة الأنانيات الفردية والقبلية والقومية ، إلى صعيد اللقاء الإنساني ، على أساس المبادئ ، المتينة الراسخة ، مبادئ الحق والعدل والخير ، وفي هذا الإطار

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من رضي بالله ربّاً ، وبالإسلام ديناً ، فهو مؤمن ج ١ ، ص ٦٢ .

التربوي النفسي ذاته ، عالج الإسلام النفس الإنسانية إعداداً لها لتحقيق التعارف والتعاون .

وانطلاقاً من مفاهيم العقيدة التي جاء بها الإسلام أعد الإسلام النفوس للتعارف والتعاون الإنساني ، ذلك أنه جعل العصبيات بأنواعها فسوقاً ، وخروجاً عن العقيدة ، وانحرافاً عن حياتها .

والعقيدة التي كانت أصلاً من أصول وحدة المسلمين مأخوذة من العقد ، والعقد هو الجمع بين أطراف الشيء ، ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة ، كعقد الحبل ، وعقد البناء ، وتوسع في العقد فاستعمل في المعاني كعقد البيع ، وعقد النكاح [١] ، كأنه ربط بين أجزاء ، ويقال : عاقدته ، عقدته ، وتعاقدنا ، وعقدت يمينه [٢] .

والعقيدة تعنى الارتباط بين القلب البشري وفكرة أو رأي أو منهج معين ، وإن هذا الارتباط يتميز بالوثاقة والقوة والإحكام ، كما يتسم بالثبات ، والاستمرار والاستقرار [٣] .

والعقيدة هى الأمر الذي تنق به النفس ، ويطمئن إليه القلب ، ويكون يقينا عند صاحبه ولا يمازجه شك ، ولا يخالطه ريب . فالعقيدة مجموعة من قضايا الحق المسلَّم بها بالسمع والعقل والفطرة ، يعقد عليها الإنسان قلبه ، ويثني عليها صدره ، جازماً بصحتها ، قاطعاً بوجودها وثبوتها [٤] .

---

(١) انظر الفيومي (المصباح المنير) مادة عقد ، وانظر : الدكتور منصور رجب (نظام الإسلام) ص ٤٦ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) الدكتور السيد رزق الطويل : العقيدة في الإسلام منهج حياة ، ص ١٥ ، ١٦ .

(٤) انظر الدكتورة آمنة محمد نصير ، مباحث في علوم العقيدة ، ص ١٠ ، مكتبة الكليات الأزهرية ١٤٠٤ هـ .

ويذكر العقاد أننا نعنى بالعقيدة الدينية طريقة حياة ، لا طريقة فكر ، ولا طريقة دراسة ، إنما نعنى بها حاجة النفس ، كما يحس بها من أحاط بتلك الدراسات ، ومن فرغ من العلم والمراجعة ، ليترقب مكان العقيدة من قرارة ضميره ، إنما نعني بها ما يملأ النفس ، لا ما يملأ الرؤوس ، أو يملأ الصفحات [١] .

إن العقيدة التي يصح أن توصف بالعقيدة الدينية هي التي لا يستغني عنها من وجدها ، ولا يطيق الفراغ منها من فقدها ، ولا يرفضها من اعتصم منها بمعتصم ، واستقر فيها على قرار [٢] .

وإذا كان القرآن الكريم لم يذكر كلمة « عقيدة » وذكر مادتها اللغوية ، فإن القرآن الكريم ذكر حقائق أساسية كبرى هى في مجموعها موضوع ما يسمى العقيدة أو العقائد .

وفي مجال العقيدة أو العقائد جاء القرآن الكريم بكلمة « الإيمان » وللقرآن الكريم طريقته الخاصة في عرض الحقائق وهى طريقة تصلح في آن واحد للخاصة من الناس والعامة منهم [٣] .

ثم إنه إذا كانت كلمة العقيدة تعنى الربط والتوثيق ، فإن كلمة الإيمان « تعني الربط والتوثيق مضافاً إليها ما يطمئن إليه القلب ، ويقتنع به اقتناعاً ذاتيّاً ونفسّياً » .

وهذه الحقائق الأساسية عرضها القرآن على الناس ، وأيدها بالأدلة والشواهد ، ودعا إلى تصديقها والإيمان بها ، وكرر ذكرها بأساليب

---

(١) العقاد ، العقائد والمذاهب ، مجلد رقم ١١ ص ٤٠٢ ، ط . دار الكتاب اللبناني .

(٢) المصدر السابق ص ٤٣١ .

(٣) محمد المبارك ، العقيدة في القرآن الكريم ، ص ٩ ، ١٠ دار الفكر ، بيروت .

شتى ، وطرق متعددة ، وهى التي تؤلف جو القرآن العام ، والأساس الذي تتفرع منه قواعده الخلقية ، وأحكامه التشريعية ، لا تنفصل عنه أبداً ، وهى القاعدة الفكرية التي أراد الله أن يقيم عليها بناء الإنسان وتكوينه [١] . ولقد دعا القرآن بإلحاح إلى الإيمان بهذه الحقائق الكبرى ، دعا إلى الإيمان بالله خالق الكون ، وبالحياة الآخرة ، التي تتجلى فيها مسئولية الإنسان ، ويتحدد مصيره الأبدي ، وبالنبوة والوحي طريقاً إلى معرفة الحقائق التي يريد الله أن يلقيها إلي الإنسان ، سواء أكان موضوعها عالم الغيب أم حقائق ما وراء المادة ، أم كان توجيه الإنسان وتنظيم شئونه في هذه الحياة [٢] .

ومما لا يخفى على الإنسان : أن هناك نوعاً آخر من الحقائق اشتمل عليها القرآن الكريم ، ووردت فيه على أنها طريق إلى الحقائق الأساسية – من الإيمان بالله والحياة الآخرة وبالنبوة والوحي – ووسيلة للوصول إليها ، ولكنها تتكرر في سور القرآن في صور وأشكال شتى مرافقة للحقائق الأساسية ؛ لتأييدها ودعمها ، ويشتمل هذا النوع على مشاهد الكون في القرآن الكريم بآفاقه الواسعة ، وأنواع مخلوقاته المختلفة ، وحوادثه المتبدلة ، وسننه المطهرة ، ويشتمل بوجه خاص علي حياة الإنسان في خلقه وتكوينه وميوله وغرائزه في أجياله المتعاقبة ، ومن عرف الحقائق الأساسية الكبرى والحقائق الأخرى التي جاءت شواهد على الحقائق الأساسية استطاع أن يخرج بفكرة شاملة عن :

– نظرة الإسلام إلى الوجود : وجود الخالق ، ووجود العالم المخلوق : الكون والإنسان .

---

(١) المرجع السابق ، بتصرف واختصار ، ص ٩ .

(٢) المرجع السابق ، بتصرف واختصار ، ص ١٠ .

– نظرة الإسلام إلى الصلة بين الله والكون ، وبين الله والإنسان ، وبين الكون والإنسان .

ويتكون من مجموع ذلك عقيدة كاملة ، ونظرة شاملة ، وهذه العقيدة لا تتطلب تجربة كبيرة للإيمان ، ولا تثير في العادة مصاعب عقلية خاصة [١] .

فالتصور الإسلامي يقوم على أساس أن هناك ألوهية وعبودية : ألوهية ينفرد بها الله سبحانه ، وعبودية يشترك فيها كل من عداه وكل ما عداه ، وكما ينفرد الله سبحانه بالألوهية كذلك ينفرد – تبعاً لهذا – بكل خصائص الألوهية .. وكما يشترك كل حي ، وكل شيء بعد ذلك في العبودية كذلك يتجرد كل حي ، وكل شيء من خصائص الألوهية ، فهناك – إذن – وجودان متميزان ، وجود الله ، ووجود ما عداه من عبيد الله ، والعلاقة بين الوجودين هي علاقة الخالق بالمخلوق ، والإله بالعبيد [٢] .

وإذا كان الأمر – كما عرفنا – فما مكان الإنسان من الكون كله ؟ وما مكانه من هذه السيارة الأرضية بين خلائقها الأحياء ؟

ما مكانه بين أبناء نوعه البشري ؟ وما مكانه بين كل جماعة من هذا النوع الواحد ، أو هذا النوع الذي يتألف من جملة أنواع يضمها عنوان « الإنسان » ؟ وهي أسئلة لا جواب لها في غير « عقيدة دينية » تجمع للإنسان صفوة عرفانه بدنياه ، وصفوة إيمانه بغيبها المجهول ، تجمع له زبدة الثقة بعقله ، وزبدة الثقة بالحياة : حياته وحياة سائر الأحياء والأكوان [٣] .

---

(١) أرنولد : تاريخ الدعوة ص ٤٥٤ .

(٢) سيد قطب : خصائص التصور الإسلامي ص ٨٣ ، ط. دار الشروق ١٤٠٠ هـ .

(٣) العقاد : الإسلاميات ، المجلد السابع ص ٣٦١ ، ط. دار الكتاب اللبناني .

وأنت تجد أن القرآن الكريم يخص من هذا الكون مخلوقاً هو الإنسان ، فيتحدث عنه مرات كثيرة ، بل يخصه بالمخاطبة ، لأنه هو المقصود ، ولكنه في الوقت نفسه يشعره بموقفه من هذا الكون .

فالإنسان أولاً : نوع من أنواع أخرى في هذا الكون ، يشترك معها في أمور ، ثم يتميز عنها ، فهو مخلوق من تراب في الأصل ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ (٣) وقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ (٤) .

ويقول بهذه المناسبة « ألكسيس كاريل » في كتابه « الإنسان ذلك المجهول » بعد أن بين المقابلة بين المواد الكيماوية التي يتركب منها الجسم البشري ، والتي يتكون منها التراب بمختلف أنواعه يقول : إن الإنسان مخلوق من تراب بالمعنى الحقيقي الحرفي لهذه الكلمة (٥) وقد جاء في الآية قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتاً ﴾ (٦) .

والإنسان ثانياً : نوع من أنواع الحيوانات يدخل في تصنيفها ويشترك معها في أمور ، قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ﴾ (٧) وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٥٩ .
(٢) سورة الكهف ، الآية : ٣٧ .
(٣) سورة الحج ، الآية : ٥ .
(٤) سورة الروم ، الآية : ٢٠ .
(٥) ألكسيس كاريل : الإنسان ذلك المجهول ، ص ٢٠٠ ، ط. مكتبة المعارف .
(٦) سورة نوح ، الآية : ١٧ .
(٧) سورة النور ، الآية : ٤٥ .

مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ [١] وقال تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ [٢] .

والإنسان ثالثاً : نوع متميز عن الحيوان كما يبدو من قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ [٣] وذلك من جهة خلقه وتكوينه الجسمي ، كما تشير الآيات أكثر من مرة إلى تسويته : ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ ﴾ [٤] ، ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ﴾ [٥] ، ﴿ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴾ [٦] وإلى جعله : ﴿ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [٧] وتميزه كذلك من جهة العقل والعلم الناميين بسبب الحواس كما تشير إلى ذلك الآية : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [٨] وكما تشير الآية الأخرى : ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَالَمْ يَعْلَمْ ﴾ [٩] وهو علم يستطيع أن يعبر عنه ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ * عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ [١٠] بل هو علم قابل دائماً للنمو والزيادة ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [١١] ، ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [١٢] .

---

(١) سورة السجدة ، الآية : ٨ .
(٢) سورة الأنعام ، الآية : ٣٨ .
(٣) سورة المؤمنون ، الآية : ١٤ .
(٤) سورة السجدة ، الآية : ٩ .
(٥) سورة الحجر ، الآية : ٢٩ .
(٦) سورة الانفطار ، الآية : ٧ .
(٧) سورة التين ، الآية : ٤ .
(٨) سورة النحل ، الآية : ٧٨ .
(٩) سورة العلق ، الآية : ٥ .
(١٠) سورة الرحمن ، الآيتان : ٣ ، ٤ .
(١١) سورة طه ، الآية : ١١٤ .
(١٢) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ .

والإنسان رابعًا : يتميز بجانب روحي ، أشارت إليه آيات كثيرة ، كقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَٰجِدِينَ ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ﴾ (٢) وهو الجانب الذي رفع مرتبة الإنسان وجعله في مقام من التكريم ؛ فأسجد الله له الملائكة ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (٣) وعلى تنمية هذا العنصر من الإنسان بنى الحافظ والمحدث الحكيم الترمذي (٤) ، وغيره من علماء السلوك نظريتهم في ترقية الإنسان في مدارج الرقي الروحي نحو الله (٥) .

وفي القرآن بعد هذا آيات كثيرة ، في ذكر نفسية الإنسان وما يميل إليه من زينة الدنيا وشهواتها ، وما يضطرب فيها ، من مختلف المشاعر والعواطف وما فيه من الصراع الدائم الذي ابتدأ منذ قصة آدم ولا ينتهي إلا بانتهاء قصة الإنسان كلها على هذه الأرض ، وفيه آيات أخرى لتوجيه الإنسان في هذه الميول والمشاعر ، وفي ذلك الصراع المحتم (٦) .

حاجة الإنسان إلى العقيدة :

الاعتقاد شيء مركوز في النفس ، مستقر في قلب الإنسان ،

---

(١) سورة الحجر ، الآية : ٢٩ .

(٢) سورة السجدة ، الآية : ٩ .

(٣) سورة الإسراء ، الآية : ٧٠ .

(٤) من علماء السنة توفى سنة ٣٢٠ هـ ، وله مصنفات كثيرة منها الرياضة وأدب النفس . والحكيم الترمذي محمد بن علي هو غير الإمام الترمذي محمد بن عيسى صاحب « السنن » .

(٥) انظر محمد المبارك ، العقيدة في القرآن الكريم ، ص ١٩ بتصرف .

(٦) المصدر السابق ص ١٩ .

لا يستطيع إنسان أن ينكره ، فالنفس أو الفطرة خلقها الله تعالى وأودع فيها هذا الاتجاه إلى الخالق ، وأن الإنسان مهما ابتعد عن منهج الله فلن يستطيع أن يغير فطرته ، قال تعالى : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ (٢) فعاطفة الاعتقاد أمر غريزي ومشترك بين الناس عامة في كل عصر ومكان ، فإنه لم تخل جماعة من الناس في أي زمان من عقيدة دينية على نحو ما . وإذا كان الدين والاعتقاد أمراً غريزيّاً وفطرياً في الإنسان في كل زمان ، فإن الإسلام هو الدين الحق الذي رضيه الله تعالى للناس جميعاً (٣) .

فالإنسان لا غنى له عن الدين ، لأنه يحسه في نفسه شعوراً ووجداناً ، ويشير إلى هذا الشعور والوجدان ما رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : « **ما من مولود إلا يولد على الفطرة** » (٤) وقول الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ (٥) .

---

(١) سورة الروم ، الآية : ٣٠ .

(٢) سورة الشمس ، الآيات : ٧ – ١٠ .

(٣) الدكتور محمد يوسف موسى : الإسلام والحياة ، ص ٧ ط. مكتبة وهبة ، القاهرة .

(٤) البخاري ، كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي ، ج ٣ ، ص ٢١٩ ، ورواه الإمام أحمد في مسنده . ٢ ص ٢٥٣ ، وفي صحيح مسلم (قدر ٢٥) : « كل إنسان تلده أمه على الفطرة » .

(٥) سورة الأعراف ، الآيتان : ١٧٢ ، ١٧٣ .

ففي هذه الآية يبين الله تعالى أنه أخرج من صلب آدم وبنيه ذريتهم ، نسلاً بعد نسل ، وجيلاً بعد جيل ، وذلك قبل خلقهم في الدنيا ، وأشهدهم على أنفسهم قائلاً لهم : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ فأجابوا ﴿ بَلَى شَهِدْنَا ﴾ بذلك . فالله – سبحانه وتعالى – أشهدهم على ربوبيته حتى لا يقولوا يوم القيامة : إنا كنا عن هذا التوحيد غافلين أو غير عالمين [١] .

فطبيعة الإنسان فيها استعداد فطري لمعرفة الله ، وهذه النظرية متأصلة في الإنسان ، وموجودة منذ الأزل في أعماق روحه [٢] ، ومن هنا كان الاعتقاد أمراً لابد منه ، وإن الدين الحق رحمة الله للناس جميعاً على اختلاف عقولهم وقدرتهم على التفكير ، وإنه هدى ونور وإن العلم لا يغني عنه شيئاً [٣] فالاعتقاد أو الدين عنصر ضروري ، والإنسانية بحاجة إليه للكمال النفسي والروحي ، فالإنسان جسم وروح ، والجسم يتغذى بالطعام والشراب ، بينما تتغذي الروح بالإيمان والعقيدة ، وعلى ذلك فالإسلام منهج شامل لأمور الدنيا والآخرة ، محقق لمصالح الفرد والجماعة ، قوامه الشريعة ، والعقيدة ، والأخلاق ، فليس ديناً فقط ، ولكنه دين ونظام حياة ، لا تنفصل فيه العلاقة بين الله والإنسان عن الصلة بين الإنسان والإنسان ، وهو ينظمها جميعاً [٤] فالدين الإسلامي عقيدة شاملة لتنظيم الحياة وتفسيرها ، واستجابة لحاجات النفس الإنسانية ، ومشعل يضيء الطريق أمام الناس ، ويبلغ بهم غايات السعادة والاستقرار ، ووسيلة لتقدم العلاقات العامة والخاصة [٥] .

---

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ٢٦٤ .

(٢) الدكتور سامي عفيفي حجازي : العلاقة بين العقيدة والأخلاق والإسلام ، ص ٥٣ ، رسالة دكتوراه .

(٣) الدكتور محمد يوسف موسى : الإسلام والحياة ، ص ١٠ .

(٤) أنور الجندي : منهج الإسلام في بناء العقيدة والشخصية ، ص ٣٩ ، ط. دار الاعتصام .

(٥) عبد الله أحمد العويشق : الأدب في خدمة الحياة والعقيدة ، ص ١٧ ، ط. كلية اللغة ، الرياض .

ومن يتأمل العقيدة الإسلامية ، ويتدبر ما جاءت به من مفاهيم تناولت معضلات الحياة يحس بالاطمئنان ويتخلص من الحيرة التي تواجه كثيراً من المفكرين [١] ، والحقيقة التي أثبتتها مئات السنين الحافلة بالأحداث والخطوب والمحن ، حقيقة أن العقيدة الإسلامية هي العقيدة الشاملة ، والعقيدة المثلى للإنسان ، والمجتمع ، رعاية للروح والجسد ، وعمل للدنيا والآخرة ، وجهاد في السلم والحرب ، ودستور للحاكم والمحكوم وتنظيم للعلاقات والصلات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات والأمم ، على خير ما يمكن أن يكون التنظيم .

فالعقيدة ضرورة لا غنى عنها للفرد والجماعة ؛ ضرورة للفرد ليطمئن ويسعد ، وتطهر نفسه ، وللمجتمع ليستقر ويتماسك ، ويترفع وينهض ، فالفرد بغير عقيدة كالريشة في مهب الريح . تحوله يميناً وشمالاً فلا يسكن له حال ، ولا يستقر له قرار وليس له جذور تثبته ، والمجتمع بغير عقيدة مجتمع غابة [٢] ، وإن ظهرت له بوارق الحضارة . فهو مجتمع تعاسة وشقاء ، ليس له غايات وأهداف ، وأهله يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام .

وقد كانت العقيدة الإسلامية إيذاناً بمولد مجتمع يخالف المجتمعات التي جعلت أساس مجتمعاتها الجنس أو القبيلة أو السلالة أو الإقليم أو اللغة ، بخلاف الإسلام الذي جعل أساس مجتمعه العقيدة .

والعقيدة قوة لا تكافئها قوة في ضمان تماسك المجتمع واستقرار نظامه ، والتئام أسباب الراحة والطمأنينة فيه ، فالإنسان يمتاز عن سائر الكائنات الحية بأن حركاته وتصرفاته الاختيارية يتولى قيادتها شيء لا يقع

---

(١) الدكتور أحمد السايح : العقاد فيلسوفاً ، ص ١٦٦ ، رسالة تخصص .

(٢) محمد أمين حسن : خصائص الدعوة الإسلامية ، ص ٢٥٧ ط. مكتبة المنار ، الأردن .

عليه سمعه ولا بصره ، ولا يوضع في يده ولا عنقه ، ولا يجري في دمه ، ولا يسري في عضلاته وأعضائه ، وإنما هو معنى اسمه « العقيدة » ، ومن هنا كان الإنسان مقوداً أبداً بفكرة صحيحة أو فاسدة ، فإذا صلحت عقيدته صلح فيه كل شيء وإن فسدت فسد كل شيء [١] .

أجل : إن الإنسان يساق من باطنه لا من ظاهره ، وليست قوانين الجماعات ولا سلطان الحكومات ، بكافيين وحدهما لإقامة مدينة فاضلة ، تحترم فيها الحقوق ، وتؤدي الواجبات على وجهها الكامل ، فإن الذي يؤدي واجبه رهبة من السوط أو السجن أو العقوبة المالية لا يلبث أن يهمله متى اطمأن إلى أنه سيفلت من طائلة القانون ، ومن الخطأ البين أن نظن أن في نشر العلوم والثقافات وحدها ضماناً للسلام والرخاء ، وعوضاً عن التربية والتهذيب الديني والخلقي ذلك أن العلم سلاح ذو حدين ، ويصلح للهدم والتدمير ، كما يصلح للبناء والتعمير ، ولا بد في حسن استخدامه من رقيب يوجهه لخير الإنسانية وعمارة الأرض ، لا إلى نشر الشر والفساد ، ذلكم الرقيب هو العقيدة والإيمان [٢] .

فالعقيدة الإسلامية تعبر عن حاجات النفس الإنسانية في مختلف ملكاتها ومظاهرها ومن هنا تنبع حاجة البشر إلى الدين من طبيعة الإنسان نفسه ، فقد خلقه الله تعالى ، ومنحه طبيعة الكائن المتكيف ، وعلى ذلك فحاجة الإنسانية إلى الدين نزعة فطرية وأصيلة ركبت فيه ، وفطر عليها [٣] .

---

(١) الدكتور محمد عبد الله دراز : الدين ، ص ٩٩ ، ط. دار القلم ١٤٠٠ هـ .

(٢) الدكتور محمد عبد الله دراز : الدين ، ص ٩٩ ، مرجع سابق .

(٣) انظر : الدكتور سامي عفيفي حجازي : العلاقة بين العقيدة والأخلاق في الإسلام ، ص ٥٨ .

والعقيدة هى أساس قيام المجتمع ، وأساس صلاحه أو فساده بل هى أساس بقائه واستمراره لذا كانت حاجة الإنسانية إلى الإسلام عقيدة وسلوكاً ... [١]

ثالثاً : وحدة مصدر التشريع :

ووحدة مصدر التشريع أصل أصيل في وحدة المسلمين ، وذلك أن مصدر التشريع واحد لدى المسلمين ، وهو القرآن الكريم : كتاب الله الذي أنزله ليكون دستور الخالق في إصلاح الخلق ، ينظم الحياة ، ويعالج النفوس ، ويُقَوِّم اعوجاج المجتمع [٢] .

قال تعالي : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً * فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطاً مُّسْتَقِيمًا ﴾ [٣] .

ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً : طريقاً واضحاً ، قصداً ، قواماً لا اعوجاج فيه ، ولا انحراف .

وهذه صفة المؤمنين في الدنيا والآخرة ، فهم في الدنيا على منهاج الاستقامة ، وطريق السلام والاطمئنان والأمان في جميع الاعتقادات والعمليات ، وفي الآخرة على صراط الله المستقيم ، المفضي إلى روضات الجنات [٤] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٦١ باختصار وتصرف .

(٢) د. أحمد السايح : مجلة الجامعة الإسلامية ، العدد الثاني ، ص ١٣٦ .

(٣) سورة النساء ، الآيتان : ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ٤٣٤ .

قال تعالى : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [١] والمراد بالنور هنا – كما في تفسير المنار – ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه النبي ﷺ .

ثانيها : أنه الإسلام .

ثالثها : أنه القرآن الكريم .

والمراد بالكتاب المبين : القرآن الكريم ، ولولا عطفه على النور لما فسّروا النور إلا به ، فإن الأصل أن يكون المعطوف غير المعطوف عليه ، ولكن العطف قد يرد للتفسير [٢] .

ولما كان العطف قد يرد للتفسير ، فإن صاحب تفسير المنار قال : وهو الذي أختاره هنا ، لتوافق هذه الآية وما بعدها قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [٣] .

هذا إلى جانب أنه بيّن مزية الكتاب المبين بضمير المفرد ، فقال : ﴿ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [٤] ولم يقل بهما ، فكان هذا مرجحاً لكون المراد بهما واحداً ، وهو القرآن الكريم .

وثَمَّ شواهد أخر ، تؤيد ما اخترناه غير آيتي النساء ، في قوله تعالى – في المهتدين من أهل الكتاب – : ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ

---

(١) سورة المائدة ، الآيتان : ١٥ ، ١٦ .

(٢) محمد رشيد رضا ، تفسير المنار ، ج ٦ ، ص ٢٥١ .

(٣) سورة النساء ، الآية رقم ١٧٤ .

(٤) سورة المائدة ، الآية : ١٦ .

وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [١] .

وكقوله تعالى : ﴿ فَـَٔامِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [٢] .

وبعد هذا نجد أنفسنا أمام ما يستفاد من ذكر النور : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ .. ﴾ [٣] . .

الفائدة الأولى :

أنه يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، أي : أن من اتبع منهم ما يرضيه تعالى بالإيمان بهذا النور يهديه – هداية دلالة تصحبها العناية والإعانة – الطرق التي يسلم بها في الدنيا والآخرة من كل ما يرديه ويشقيه ، فيقوم في الدنيا بحقوق الله تعالى ، وحقوق نفسه الروحية والجسدية ، وحقوق الناس ، فيكون متمتعاً بالطيبات ، مجتنباً للخبائث ، تقيّاً مخلصاً ، صالحاك مصلحاً ، ويكون في الآخرة سعيداً منعَّماً ، جامعاً بين النعيم الحسي الجسدي ، والنعيم الروحي العقلي .

وخلاصة هذه الفائدة : أنه يتبع ديناً يجد فيه جميع الطرق الموصلة إلى ما تسلم به النفس من شقاء الدنيا والآخرة ، لأنه دين السلام ، والإخلاص لله ولعباده ، دين المساواة والعدل ، والإحسان والفضل .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٥٧ .

(٢) سورة التغابن الآية : ٨ ، وانظر : محمد رشيد رضا : تفسير المنار ج ٦ ، ص ٢٥٢ .

(٣) سورة المائدة ، الآية : ١٥ .

الفائدة الثانية :

الإخراج من ظلمات الوثنية ذات الخرافات والأوهام ، التي أفسد بها الرؤساء جميع الأديان ، واستعبدوا أهلها ، إلى نور التوحيد الخالص الذي يحرر صاحبه من رق رؤساء الدين والدنيا ، فيكون بين الخلق حرّاً كريماً ، وبين يدي الخالق وحده عبداً خاضعاً .

الفائدة الثالثة :

الهداية إلى الصراط المستقيم ، وهو الطريق المؤدي إلى القصد والغاية من الدين في أقرب وقت ، لأنه طريق لا عوج فيه ولا انحراف ، فيسلم سالكه ولا يضل في سيره ، وهو أن يكون الاعتصام بالقرآن الكريم على الوجه الصحيح ، الذي أنزله الله تعالى لأجله ، كما كان عليه أهل الصدر الأول قبل ظهور الخلاف والتأويل ، بأن تكون عقائده وآدابه وأحكامه مؤثرة في تزكية الأنفس وإصلاح القلوب ، وإحسان الأعمال ، وثمرة ذلك سعادة الدنيا والآخرة ، بحسب سنن الله فى خلق الإنسان [١] .

فأنت تدرك من كل ما عرضنا له : أن وحدة التشريع من أعظم العوامل على وحدة المسلمين واجتماعهم .

وأبو شريح الخزاعي ، يقول : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : « **أليس تشهدون أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ؟ . قالوا : بلى .. ..**

---

(١) محمد رشيد رضا : تفسير المنار ، ج ٦ ، ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، بتصرف .

قال : « إن هذا القرآن طرفه بيد الله ، وطرفه بأيديكم ، فتمسكوا به ، فإنكم لن تضلوا ، ولن تهلكوا بعده أبداً » [١] .

وعن أبي الأحوص ، عن عبد الله – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن هذا القرآن هو حبل الله المتين ، وهو النور المبين ، وهو الشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتَّبعه** » [٢] .

وما دام القرآن الكريم على النحو الذي بينه لنا الله تعالى ، ورسوله الكريم من عمله الدائب على وحدة صفوف المسلمين ، واجتماع كلمتهم ، وتآلف قلوبهم ، وكونه أصلاً في ذلك ، فلا غرو أن يأمر الله المسلمين – إن وقع بينهم خلاف ، أو دب بينهم نزاع – أن يرجعوا إلى كتاب ربهم بإخلاص ، ففي ذلك رفع للخلاف ، وقطع للنزاع ، قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [٣] .

وذلك بأن يعرض على كتاب الله – سبحانه وتعالى – وسنة رسوله ﷺ وما فيهما من القواعد العامة ، والسيرة المطردة ، فما كان موافقاً لهما علم أنه صالح لنا ، ووجب الأخذ به ، وما كان منافراً علم أنه غير صالح ، ووجب تركه ، وبذلك يزول التنازع ، وتجتمع الكلمة [٤] .

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الصغير ، ج ٢ ، ص ٩٨ .

(٢) رواه الدارمي في سننه ، كتاب فضائل القرآن ، ج ٢ ، ص ٤٣١ .

(٣) سورة النساء ، الآية : ٥٩ .

(٤) محمد رشيد رضا : تفسير المنار ، ج ٥ ، ص ١٤٨ .

رابعاً : العبادات الهادفة

الواقع أن أصول الوحدة الإسلامية لا تقف عند وحدة الأصل الإنساني ، ووحدة العقيدة ، ووحدة مصدر التشريع ، بل نجد من أصول الوحدة الإسلامية : العبادات الهادفة .

والأصل في العبادات : أنها تُؤَدَّى امتثالا لأمر الله تعالى وأداء لحقه على عباده ، وشكراً لنعمائه التي لا تنكر .

وللعبادات ثمراتها الطيّبة التي تعود على المسلم قطعاً ، ولها حِكَمُهَا الجمة ، لكن ليس من اللازم ، ولا من الضروري أن يحيط الإنسان بثمراتها وفوائدها ، بل لا يستطيع ذلك ، كما لا يستطيع عقله المحدود أن يدرك حِكَمَها ، وحسبه أن يعلم أن الله تعالى إذا تعبد الإنسان بشيء ، فإنما يتعبده بما يصلح نفسه ، ويعود عليه بالخير في حياته الروحية والمادية ، والاجتماعية ، ولكن هذا لا يمنع الباحثين من التعرف على آثار العبادة فى العمل على وحده المسلمين ، قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾[1] .

إن إقامة الصلاة هى رأس العبادات العملية ، وهى الصلة بين العبد والرب ، وهى : مطهرة للنفس ، مرضاة للرب ، مدعاة لتطهير الروح وتزكية النفس ، لذلك لا غرابة في جعل الصلاة خير ما يستعين به المسلم علي امتثال الأمر واجتناب النهي [2] .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا

---

(١) سورة هود ، الآية : ١١٤ .

(٢) الشيخ حجازي ، التفسير الواضح ، ج ١٢ ، ص ٤١ ، ط. القاهرة سنة ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م .

كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [١] فالصوم يُعَوِّدُ الإنسان على الخشية من ربه في السر والعلن ، ومن كملت لديه هذه الخلة لا يقدم على غش الناس بمخادعتهم ، ولا على أكل أموالهم بالباطل ، ولا على هدم ركن من أركان الدين ، كالزكاة ، ولا على اقتراف المنكرات ، الموجبة للسيئات ، وإذا ألمّ بشيء منها يكون سريع التذكر ، قريب الرجوع بالتوبة الصريحة كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [٢] .

والصوم يعوّد الشفقة والرحمة الداعيتين إلى البذل والصدقة ، فهو عندما يجوع يتذكر من لا يجد قوتاً من أولئك البائسين ، فيرق قلبه لهم ، ويشفق عليهم ، وفي ذلك تكافل الأمة ، وشعور بالأخوة الدينية [٣] .

فالعبادة في الإسلام لها شأن ، يبدو جليّاً واضحاً فيما ينعكس من آثارها على حنايا النفس عمقاً وبعداً ، والأخذ بيد الإنسان إلى قصد السبيل ، وما أخذت العبادة امتدادها على هذا النحو ، في تأكيد الصلة بالله طاعة وقربى ، وتوثيقها بالنفس زكاة وطهراً ، وربطها بالمجتمع تواضعاً وبرّاً ، إلا كان صاحبها مشعل إشعاع ، ومركز خير ، وموئل عز ، وموطن حفظ .

عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – قال : قال النبي ﷺ : قال الله تعالى : « **إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي ، ولم يستطل على خلقي ، ولم يبت مصرّاً على معصيتي ، وقطع نهاره في ذكري ، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ، ورحم المصاب ، ذلك نوره**

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٨٣ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٢٠١ .

(٣) مصطفى المراغي : تفسير القرآن ، ج ٢ ، ص ٦٨ – ٧٠ ، بتصرف .

كنور الشمس ، أكلؤه بعزتي ، وأستحفظه ملائكتي ، أجعل له في الظلمة نوراً ، وفي الجهالة حلماً ، ومثله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة » [١] .

فالصلاة فرضها الله على المسلمين خمس مرات في اليوم والليلة ، وهى توحي بالوحدة بين المسلمين إيحاء لا ينقطع ، فقد جعل الله تعالى مواقيتها واحدة ، وركعاتها واحدة ، وهيئتها واحدة ، لا تختلف من بلد إلى بلد ، أو من جيل إلى جيل بل يتم الإعلام عنها في وقت واحد ، فيستجيب المؤمنون للنداء ، ويجتمعون خمس مرات كل يوم في المسجد ، يناجون رباً واحداً ، ويؤدون أعمالاً واحدةً ، ويتجهون إلى قبلة واحدة .

وأي وحدة أبلغ وأعمق من وحدة المصلين في الجماعة ، يصلون خلف رجل واحد ، هو الإمام ، ويناجون رباً واحداً ، هو الله ، ويتلون كتاباً واحداً ، هو القرآن ، ويتجهون إلى قبلة واحدة ، هى الكعبةُ البيتُ الحرام ، ويؤدون أعمالاً واحدة : من قيام وقعود ، وركوع وسجود ، وحدة نفذت إلى اللباب ، ولم تكتف بالقشور ، وحدة في النظرة والفكرة ، وحدة في الغاية والوجهة ، وحدة في المخبر والمظهر [٢] .

فالإسلام دعا أبناءه إلى الجماعة ، ليتعارفوا فلا يتناكروا ، ويتقاربوا فلا يتباعدوا ، ويتحابُّوا فلا يتباغضوا ، ويتصافحوا فلا يتشاحنوا [٣] .

وعلى هذا : فإن صلاة الجماعة في الإسلام – إلى جانب ما لها من قيمة فكرية – تشير إلى الأمل في تحقيق الوحدة الضرورية للبشر ،

---

(١) رواه البزار ، في الإتحافات السنية ، ص ٣٨ ، رقم الحديث ٣٤٤ ، ط : الثانية ، حيدر آباد ، دائرة المعارف العثمانية ، سنة ١٣٧٨ هـ – ١٩٥٨ م .

(٢) د. يوسف القرضاوي : العبادة في الإسلام ، ص ١٩١ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٨٨ .

لأنها حقيقة من حقائق الحياة ، ذلك بالقضاء على جميع الفوارق التي ميزت بين إنسان وآخر [١] .

وقد ضعّف الإسلام أجر الصلاة بضعاً وعشرين مرة أو يزيد ، عندما يقف الإنسان مع غيره بين يدي الله – سبحانه وتعالى – وهذا إغراء شديد بالانضواء إلى الجماعة ، ونبذ العزلة ، ودفع بالإنسان المسلم إلى الانسلاخ من وحدته ، والاندماج في أمته .. إن الإسلام يكره للمسلم أن ينحصر في نطاق نفسه ، وأن يستوحش في تفكيره وإحساسه وأن ينأى بمصلحته عن مصلحة الجماعة وحياتها [٢] .

فلكل عمل من أعمال الإسلام ثمرة تطبيقية ، وقد شرع لنا الإسلام اجتماعات كل يوم ، واجتماعاً كل أسبوع ، واجتماعاً سنويّاً ، واجتماعاً مفروضاً في العمر مرة ، والحكمة واضحة ، هي : دوام التآلف ، واستمرار التعارف ، وتبادل المعلومات ، واستشعار معنى الأخوة ، والتزام الطاعة والنظام .

وحكمة مشروعية ما يترتب على الاجتماع لها من جمع الكلمة والتحابِّ ، والتعاطف ، والتآلف ، والتعلّم ، وتعوّد الصبر ، والامتثال ، ولعل الشريعة أوجبت على الناس أن يجتمعوا في مساجدهم كل يوم خمس مرات ، وفضّلت صلاة الجماعة على صلاة الآحاد ، ليحصل لهم هذا الأنس الطبعي الذي هو فيهم بالقوة ، حتى يخرج إلى الفعل ، ثم يتأكد بالاعتقادات الصحيحة التي تجمعهم ، وهذا الاجتماع في كل يوم ليس يتعذر على أهل كل محلة وسكة [٣] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٩٢ ، ١٩٣ .

(٢) محمد الغزالي : خلق المسلم ، ص ٢٢١ ، ط. الأولى .

(٣) محمد حسن صديق خان : الدين الخالص ، ج ٤ ، ص ١٨٢ ، بتصرف ، ط. الأولى .

« والدليل على أن غرض صاحب الشريعة ما ذكرناه أنه أوجب على أهل المدينة الاجتماع في كل أسبوع يوما بعينه ، في مسجد يسعهم ، ليجمع – أيضاً – شمل أهل المحال والسكك في كل أسبوع ، كما اجتمع أهل الدور والمنازل كل يوم ، ثم أوجب – أيضاً – أن يجتمع أهل المدينة مع أهل القرى المتقاربين في كل سنة مرتين في مصلى بارزين مصحرين ، ليسعهم المكان ويتجدد الأنس بين كافتهم ، وتشملهم المحبة الناظمة لهم [١] .

وأراد الإسلام من هذه الصلاة أن تكون مؤتمراً جامعاً ، ومهرجاناً كبيراً يجمع أهل البلد قاطبة في مكان واحد في الخلاء ، يذهب إليها الرجال والنساء ، حتى ذوات العذر منهن [٢] .

عن أم عطية – رضي الله عنها – قالت : أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرجهن في الفطر والأضحى : العواتق والحيّض ، وذوات الخدور ، فأما الحيّض فيعتزلن الصلاة ، ويشهدن الخير ودعوة المسلمين .

قلت يارسول الله : إحدانا لا يكون لها جلباب ؟

قال : « **لتلبسها أختها من جلبابها** » [٣] .

وفي الصيام : نلمح إيحاءه للوحدة بين المسلمين ، ظاهراً وقويّاً فحينما يطل شهر رمضان على المسلمين ، يوحد بينهم في مشارق الأرض ومغاربها ، على اختلاف ألسنتهم ، يوحد بينهم في شعورهم وسرورهم ، ويوحد بينهم في استعادة ذكرياتهم المجيدة ، ويوحد بينهم في استعادة ليلهم

---

(١) السابق ، ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

(٢) د. يوسف القرضاوي : العبادة في الإسلام ، ص ١٨٣ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه مع فتح الباري في عدة مواضع : كتاب الحيض ، باب شهود الحائض العيدين ، ج ١ ، ص ٤٢٣ .

ونهارهم ، وفي وقت طعامهم وشرابهم ، ويجعل فقراءهم وأغنياءهم ، وحكامهم ومحكوميهم ، ورجالهم ونساءهم في ذلك كله سواء [١] .

وفي الزكاة وأنواع الصدقات : نجد أنها روافد وبواعث للوحدة الإسلامية الشاملة .

فالإسلام قد أمر بإخراج الزكاة ، وسنَّ الصدقات للقادرين على ذلك ، رعاية للفقير والمسكين في المجتمع ، تبادلاً لمشاعر المحبة والألفة والمودة ، والعطف ، وتقوية للأمة في مجموعها .

ولا شك أن هذه المعاني كلها تعمل عملها ، في وحدة المسلمين وتأليف قلوبهم ، وتجميع شملهم ، وتجعلهم – كما أراد الإسلام – كالجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر .

والحج : من أظهر العبادات عملاً على وحدة المسلمين ، فمناسكه وشعائره كلها توقظ في المسلم مشاعر الأخوة النبيلة بين المسلمين ، حيث يتجرد المسلمون من صبغة الدنيا وألوانها ، ومظاهر طبقاتها وتفاوتها ، ويعودون بأنفسهم إلى وحدة المظهر ، يحاكون بها وحدة العقيدة والإيمان [٢] .

فالإسلام أوجب على المسلمين أن يجتمعوا في العمر كله مرة واحدة ، في الموضع المقدس بمكة ، ولم يُعَيَّنْ من العمر وقت مخصوص ، ليتسع لهم الزمان في الأنس والمحبة ، وشمول الخير ، والسعادة ، كحال المجتمعين في كل سنة ، وفي كل أسبوع ، وفي كل يوم ، فيجتمع بذلك الأنس الطبعي إلي الخيرات المشتركة ، وتتجدد بينهم محبة الشريعة ،

---

(١) محمود شلتوت : من توجيهات الإسلام ، ص ٣٤٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٧٣ .

وليكبروا الله على ما هداهم ، ويغتبطوا بالدين القويم القيم الذي ألفهم على تقوى الله وطاعته [١] .

خامساً : المبادئ والأخلاق :

الواقع أن الأخلاق السامية ، والمبادئ القويمة ، التي جاء بها الإسلام ، وأمر المسلمين أن يتخلقوا بها ، كلها تعمل – من قريب أو من بعيد – على وحدة المسلمين ، وتنمية مشاعر الأخوة بينهم .

ونحن نذكر من ذلك بعض الأخلاق والمبادئ الإسلامية التي هي ألصق ما تكون بوحدة المسلمين ، والتي تؤدي إلى ذلك أداءً مباشراً ومن ذلك :

(١) أن الإسلام قد أمر المسلمين بالتحابِّ ، والتزاور ، قال تعالى : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَٰبِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلاَ يَنقُضُونَ الْمِيثَٰقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ الْحِسَابِ ﴾ [٢] .

يصلون ما أمر الله من أرحامهم ، وقراباتهم ، وإخوانهم المؤمنين بالإحسان إليهم ، على حسب الطاقة ، ونصرتهم ، والذَّبِّ عنهم ، والشفقة عليهم ، والنصيحة لهم ، وكف الأذي عنهم [٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

---

(١) محمد حسن صديق : الدين الخالص ، ج ٤ ، ص ١٨٣ .
(٢) سورة الرعد ، الآيات : ١٩ – ٢١ .
(٣) القاسمي : محاسن التأويل ، ج ٩ ، ص ٣٦٧٣ .

وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [١] بعضهم أولياء بعض : قلوبهم متحدة في التوادِّ والتحابِّ والتعاطف [٢] ، وولاية المؤمنين والمؤمنات بعضهم لبعض في هذه الآية نعم الولاية ، فهي ولاية النصرة ، وولاية الأخوة والمودة [٣] .

إن طبيعة المؤمن هي طبيعة الأمة المؤمنة ، طبيعة الوحدة ، وطبيعة التكافل ، وطبيعة التضامن ، ولكنه التضامن في تحقيق الخير ، ودفع الشر ، وتحقيق الخير ودفع الشر : يحتاج إلى الولاية والتضامن والتعاون ، من هنا : تقف الأمة المؤمنة صفّاً واحداً ، لا تدخل بينها عوامل الفرقة ، وحيثما وجدت الفرقة في الجماعة المؤمنة ، فثمة – ولا بد – عنصر غريب عن طبيعتها ، وعن عقيدتها ، هو الذي يدخل بالفرقة ، ثمة غرض أو مرض يمنع السمة الأولى ويدفعها ، السمة التي يقررها العليم الخبير [٤] .

ولا يكون لهم هوى غير أمر الله ، وأمر رسوله ، ولا يكون لهم دستور إلا شريعة الله ورسوله ، ولا يكون لهم منهج إلا دين الله ورسوله ، ولا يكون لهم الخيرة إذا قضى الله ورسوله ، وبذلك يوحدون نهجهم ، ويوحدون هدفهم ، ويوحدون طريقتهم ، فلا تتفرق بهم السبل ، عن الطريق الواحد الواصل المستقيم [٥] .

وعن معاذ بن جبل – رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تبارك وتعالى : « **وجبت محبتي للمتحابين فيّ ، وللمتجالسين فيّ ، وللمتزاورين فيّ ، وللمتباذلين فيّ** » [٦] .

---

(١) سورة التوبة ، آية : ٧١ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج ٣ ، ص ٣٠٤٣ .

(٣) محمد رشيد رضا : تفسير المنار ، ج ١٠ ، ص ٤٦٦ .

(٤) سيد قطب : في ظلال القرآن ، ج ٣ ، ص ١٦٧٥ .

(٥) المصدر السابق ، نفس الجزء ، ص ١٦٧٥ ، ١٦٧٦ .

(٦) رواه مالك ، في الموطأ ، ص ٦٨٠ ، رقم الحديث ١٧٣٥ . =

(٢) ومن ذلك : إصلاح ذات البين ، فهو الذي يرأب الصدع ، ويلم الشمل ، ويجمع المتفرقين ، ولذلك أمر به الإسلام في محيط الأسرة الصغيرة والكبيرة .

فمما جاء خاصّاً بمحيط الأسرة الصغيرة ، قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَـٰحاً يُوفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيرًا ﴾ [١] .

فإذا وقع الشقاق بين الزوجين ، أسكنهما الحاكم إلى جنب ثقة ؛ لينظر في أمرهما ، ويمنع الظالم منهما من الظلم ، فإن تفاقم أمرهما وطالت خصومتهما ، بعث الحاكم ثقة من أهل المرأة ، وثقة من قوم الرجل ؛ ليجتمعا فينظرا في أمرهما ويفعلا مافيه مصلحة ، مما يريانه من التفريق أو التوفيق ، وتشوّف الشارع إلى التوفيق [٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ... ﴾ [٣] .

فالصلح خير : لفظ عام مطلق ، يقتضي أن الصلح الحقيقي الذي تسكن إليه النفوس ، ويزول به الخلاف ، خير على الإطلاق ، ويدخل في هذا المعني جميع ما يقع عليه الصلح بين الرجل وامرأته في مال أو وطء ، أو غير ذلك : خير من الفرقة [٤] .

= ورواه الحاكم في المستدرك ، ج ٤ ، ص ١٧٠ ، وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، بلفظ : « حقت محبتى » بدلاً من : « وجبت محبتي » .

(١) سورة النساء ، آية : ٣٥ .

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ .

(٣) سورة النساء ، آية : ١٢٨ .

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج ٢ ، ص ١٩٧٦ .

ومما جاء عامًّا وشاملاً لوجوب الإصلاح بين الناس على العموم قوله تعالى : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١) .

فالإصلاح عام في الدماء والأموال والأعراض ، وفي كل شئ يقع التداعي فيه ، والاختلاف بين الناس ، وفي كل كلام يراد به وجه الله تعالى (٢) .

وقال تعالى : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ (٣) أي : اتقوا الله في أموركم وأصلحوا فيما بينكم ، ولا تظالموا ، ولا تخاصموا ، ولا تشاجروا (٤) .

واتقوا الله في الاختلاف والتخاصم ، وكونوا متحدين ، متآخين في الله ، وأصلحوا أحوالكم ، حتى تكون أحوال ألفة ، ومحبة واتفاق (٥) . وهي الحال والصلة التي تربط بعضكم ببعض ، وهي رابطة الإسلام ، وإصلاحها يكون بالوفاق والتعاون والمواساة وترك الأثرة والتفرق (٦) .

وقد أمر الله المسلمين في الكتاب والسنة بإصلاح ذات البين ، فهو

---

(١) سورة النساء ، آية : ١١٤ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج ٢ ، ص ١٩٥٤ .

(٣) سورة الأنفال ، آية : ١ .

(٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ، ص ٥٥٠ .

(٥) القاسمي : محاسن التأويل ، ج ٨ ، ص ٢٩٤٨ .

(٦) محمد رشيد رضا : تفسير المنار ، ج ٩ ، ص ٤٨٩ .

واجب شرعاً تتوقف عليه قوة الأمة وعزتها ومنعتها ، وتحفظ به وحدتها [١] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [٢] .

فهذه الآية : قد أوجبت اجتماع المسلمين على بذل الجهد في سبيل الإصلاح بين الفريقين المتنازعين والمتقاتلين [٣] .

وهذه قاعدة تشريعية عملية ؛ لصيانة المجتمع المؤمن من الخصام والتفكك ، تحت النزوات والاندفاعات ، تأتي تعقيباً على تبيّن خبر الفاسق [٤] ، وعدم العجلة والاندفاع وراء الحمية والحماسة ، قبل التثبت والاستيقان ، وسواء أكان نزول هذه الآية بسبب حادث معين – كما ذكرت الروايات – أم كان تشريعاً لتلافي مثل هذه الحالة ، فهو يمثل قاعدة عامة محكمة لصيانة الجماعة الإسلامية ، من التفكك والتفرق ، ثم لإقرار الحق والعدل والصلاح [٥] .

وإذا كان هذا شأن القرآن الكريم في الدعوة إلى الإصلاح بين المسلمين ، حفاظاً على الوحدة الإسلامية ، فإن السنة النبوية جاءت كذلك ترغب الناس في إصلاح ذات البين ، وفي قبول الصلح ، وفي إقالة العثرات ، وقبول الاعتذارات .

---

(١) المرجع السابق ، نفس الجزء ، ص ٥٤٢ .

(٢) سورة الحجرات ، آية : ٩ .

(٣) محمد عزة دروزة : الدستور القرآني ، ص ٦٨ ، ط. البابي الحلبي ، بمصر .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ سورة الحجرات ، آية : ٦ .

(٥) سيد قطب : في ظلال القرآن ، ج ٦ ، ص ٣٣٤٣ .

عن أبي الدرداء – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : **« ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ » قالوا : بلى . قال : « إصلاح ذات البين ؛ فإن فساد ذات البين هى الحالقة »** (١) .

تحذير الإسلام من الفرقة وأسبابها :

بيّنا – فيما سبق –: أن الإسلام الحنيف قد جاء بالأصول والتعاليم الإيجابية ، التي تعمل على وحدة المسلمين ، وتجميع شملهم ، وتوحيد صفوفهم ، ليعيشوا أعزاء أقوياء ، وينشروا الإسلام في الأرض ، وهو في هذا السبيل – أيضاً – يحرّم التنازع والتفرق والاختلاف ، ويحذر من كل سبب يؤدي إليها ، ويبين العواقب الوخيمة التي تترتب عليها .

وقد جاء الإسلام بأساليب كثيرة ، نبين أهمها فيما يأتي :

(١) ينهى الإسلام نهياً صريحاً قاطعاً عن التنازع والتفرق ، بل وعن التشبه بالمتفرقين ، مبيناً أن الفشل الذريع لكل مناحي الحياة هو النتيجة الحتمية للمتنازعين المتفرقين .

قال تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً ﴾ (٢) . أي : لا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم ،

---

(١) رواه أحمد في مسنده ، ج ٦ ، ص : ٤٤٤ ، ٤٤٥ .
ورواه أبو داود في سننه ، كتاب الأدب ، باب إصلاح ذات البين ، ج ٥ ، ص ٢١٨ .

(٢) سورة آل عمران ، آية رقم ١٠٣ .

كما اختلف اليهود والنصاري ، أو كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين ، يعادي بعضكم بعضاً ويحاربه ، أو : لا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ، ويزول معه الاجتماع والألفة التي أنتم عليها ، مما يأباه جامعكم والمؤلف بينكم ، وهو : اتباع الحق ، والتمسك بالإسلام [١] .

فالإسلام ينهى عن التفرق والانقسام ، لما في التفرق من زوال الوحدة التي هي تفيد العزة والقوة ، وبالعزة يعتز الحق ، فيعلو في العالمين ، وبالقوة يحفظ هو أهله من هجمات الواثبين ، المتربصين وكيد الكائدين [٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾[٣] .

ولا تنازعوا باختلاف الآراء ، أو فيما أمرتم به ، فتفشلوا ، وتجبنوا ، أو لا يتقوّ بعضكم ببعض [٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ﴾ [٥] .

فالله ينهى هذه الأمة أن يكونوا كالأمم الماضية في افتراقهم واختلافهم ، وتركهم الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، مع قيام الحجة عليهم [٦] .

---

(١) القاسمي : محاسن التأويل ، ج ٤ ، ص ٩١٥ .

(٢) محمد رشيد رضا : تفسير المنار ، ج ٤ ، ص ٢٠ ، بتصرف .

(٣) سورة الأنفال ، آية : ٤٦ .

(٤) القاسمي : محاسن التأويل ، ج ٨ ، ص ٣٠١١ .

(٥) سورة آل عمران ، آية : ١٠٥ .

(٦) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص ٣٩٠ .

وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (١) .

عن زيد بن أسلم ، قال : مر شاس بن قيس – وكان شيخاً قد عتا في الجاهلية ، عظيم الكفر ، شديد الضغن للمسلمين ، شديد الحسد لهم – على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم ، يتحدثون فيه ، فغاظه ما رأى من اجتماعهم وألفتهم ، وصلاح ذات بينهم على الإسلام ، بعد الذي كان منهم من العداوة في الجاهلية .

فقال : قد اجتمع ملأ بني قَيْلَةَ بهذه البلاد ، والله مالنا معهم ، إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار .

فأمر فتى شاباً من اليهود – وكان معه – فقال : اعمد إليهم فاجلس معهم ، وذكرهم يوم بعاث (٢) ، وما كان قبله ، وأَنْشِدْهُمْ بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار ، ففعل .. فتكلم القوم عند ذلك .. فتنازعوا وتفاخروا حتى توائب رجلان من الجثى على الركب : أوس بن قيظي

---

(١) سورة آل عمران ، الآيتان : ١٠٠ ، ١٠١ .

(٢) هو موضع بالقرب من المدينة المنورة ، اشتهر بالحرب التي نشبت بين الأوس والخزرج قبل الهجرة ببضع سنين ، ذلك أن الأوس سعوا إلى محالفة قريش في حربهم مع الخزرج ، وهم الأكثر عددا ، فأرسلوا وفداً إلى مكة ، فلما علم رسول الله – ﷺ – بمقدمهم ، جاءهم وعرض عليهم الإسلام ، وبعد انصرافهم إلى المدينة ، جرت بينهم وبين الخزرج الحرب التي عرفت بيوم « بعاث » وفيها انتصر الأوس ، بعد أن انهزمت أول مرة ، « يوم بعاث » : هو آخر الحروب بين الأوس والخزرج .

• ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ١ ، ص ٥٥٥ .

• ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٥١ .

أحد بني حارثة ، من الأوس ، وجبار بن صخر أحد بنى سلمة ، من الخزرج ، فتقاتلا ، ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم – والله – رددناها الآن جذعة .

وغضب الفريقان ، وقالوا : قد فعلنا ، السلاح السلاح ، موعدكم الظاهرة . فخرجوا إليها ، وتحاور الناس ، فانضمت الأوس بعضها إلى بعض على دعواهم التى كانوا عليها في الجاهلية . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه ، حتى جاءهم ، فقال : « **يامعشر المسلمين : الله . الله . أتدعون بدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله إلى الإسلام ، وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف بينكم ، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا ؟!** » (١) .

فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان ، وكيد من عدوهم .. فألقوا السلاح من أيديهم ، وبكوا ، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً .

ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين ، مطيعين ، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله « شاس بن قيس » وما صنع (٢) .

وكذلك جاءت السنة المطهرة بهذا النهي الصريح عن التنازع والتفرق والاختلاف ، ومن ذلك قوله ﷺ : « **لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا** » (٣) .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه مع فتح الباري ، كتاب التفسير ، باب : ﴿ يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل .. ﴾ سورة المنافقون ، آية ٨ ، ج ٨ ، ص ٦٥٢ .

(٢) الطبرى : جامع البيان في تفسير آي القرآن ، ج ٧ ، ص ٥٥ .
* السيوطي : الدر المنثور ، ج ٢ ، ص ٥٧ ، ٥٨ .
* ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص ٢٩٠ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه مع فتح الباري ، كتاب الخصومات ، باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلمين واليهود ، ج ٥ ، ص ٧٠ .

. فالإسلام – كما تري – حينما يبني الوحدة ويقويها : يناديهم مرة ، ويحذرهم من الجانب المقابل مرة أخرى ، الذي تفصم فيه عُرَا الوحدة ، ويذهبون فيه شيعاً وأحزاباً [١] .

(٢) ومن الأساليب التي جاء بها الإسلام لإبعاد المسلمين عن التنازع : أن بيّن في وضوح أن الشقاق والتنازع والتفرق والبعد عن الحق ، وأمثال هذه الصفات ، هي في الواقع صفات الظالمين والضالين ، والكافرين والمشركين ، وبالتالي فلا ينبغي ولا يجوز بحال من الأحوال أن تكون صفاتٍ للمؤمنين ، لأن مقتضى الإيمان هو اتباع الحق ، والاتحاد بين المسلمين والوحدة .

قال تعالى : ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ [٢] أي : إنك أيها الرسول ، إذا رأيت اليهود مجتمعين خِلْتَهم متفقين ، وهم مختلفون غاية الاختلاف ، لما بينهم من إحن ، وعداوات ، فهم لا يتعاضدون ، ولا يتساندون ، ولا يرمون عن قوس واحدة [٣] .

وقال تعالى : ﴿وَإِنَّ الظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [٤] أي : خلاف للحق ، بعيدًا عن موافقته جدا ، بسبب ظلمهم وشركهم [٥] .

وقال تعالى : ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[٦] .

---

(١) محمود شلتوت : من توجيهات الإسلام ، ص ٥١١ .
د. محمد أمين المصري : سبيل الدعوة الإسلامية ، ص ١٧ ، ط. الثانية ، دار الأرقم بالكويت ، سنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
(٢) سورة الحشر ، آية : ١٤ .
(٣) مصطفى المراغي : تفسير القرآن ، ج ٢٨ ، ص ٥٠ .
(٤) سورة الحج ، آية : ٥٣ .
(٥) القاسمي : محاسن التأويل ، ج ٥ ص ١٥٥٢ .
(٦) سورة الروم ، الآيتان : ٣١ ، ٣٢ .

وجاءت السنة المطهرة – أيضاً – مبينة لهذا الموضوع ، مؤكدة له ، ومما جاء في ذلك : قوله ﷺ : « **من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه** » (١) .

وقال ﷺ : « **لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض** » (٢) .

وهكذا تتضافر آيات القرآن الكريم ، وأحاديث السنة المطهرة ، على أن الشقاق والتفرق والتنازع وأمثالها ، إنما هي : صفات للكافرين والضالين ، فلا يجوز أن تكون صفات للمؤمنين بحال ، لأن مقتضى الإيمان الحق : هو الوحدة الجامعة .

فإذا حدث واتصف المسلمون بهذه الصفات ، فليعلموا أنهم قد حادوا عن طريق الإيمان ، وجانبوا تعاليم الإسلام ، وأن عليهم أن يسارعوا بالرجوع إلى مقتضيات إيمانهم ، وتعاليم دينهم .

(٣) ومن الأساليب التي اتخذها الإسلام في تحذير المؤمنين من التفرق ، بيان وعيد الله لمن انشق عن الجماعة المؤمنة ، وعمل على تمزق الأمة .

قال تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيراً ﴾ (٣) فمن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول

---

(١) رواه أحمد ، في مسنده ، ج ٥ ، ص ١٨٠ .
ورواه أبو داود في سننه ، كتاب السنة ، باب قتل الخوارج ، ج ٥ ، ص ١١٨ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه مع فتح الباري ، كتاب العلم ، باب الإنصاف للعلماء ، ج ١ ص ١١٧ .

(٣) سورة النساء آية : ١١٥ .

ﷺ فصار في شق ، والشرع في شق ، وذلك عن عمد منه بعد ما ظهر له الحق ، وتبين له ، واتضح له [١] .

والآية : دلت على أن متبع غير سبيل المؤمنين مستحق للوعيد ، كما أن مُشَاقَّ الرسول من بعد ما تبين له الهدى مستحق للوعيد [٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِداً ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقاً بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ * لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلَ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ * أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ * لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوْاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَٱللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [٣] .

هذه الآيات الكريمات تحكي قصة في صورة مسجد ، اتخذها أعداء الإسلام في زمن الرسول ﷺ لينالوا بها من الإسلام وأهله ، وكان من أهم أهدافهم الخبيثة التي بنوا هذا المسجد من أجلها : التفريق بين المؤمنين ، لكي يفشلوا وتذهب ريحهم ، ولكن الله – عز وجل – أبطل كيدهم ، فخاب أملهم ، وطاش سهمهم ، وكان نصيب مؤسستهم هذه – التي اتخذوها في صورة مسجد مبالغة في التخفي الخبيث – أن أمر الرسول ﷺ بحرقها وهدمها .

---

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص ٥٥٤ .

(٢) القاسمي : محاسن التأويل ، ج ٥ ، ص ١٥٥٢ .

(٣) سورة التوبة ، الآيات : ١٠٧ – ١١٠ .

ويذكر المفسرون : أن سبب نزول هذه الآيات : أنه كان بالمدينة قبل مقدم رسول الله ﷺ إليها رجل من الخزرج ، يقال له : أبو عامر الراهب ، وكان قد تنصر في الجاهلية ، وقرأ علم أهل الكتاب ، وكان فيه عبادة في الجاهلية ، وله شرف في الخزرج كبير .

فلما قدم رسول الله ﷺ مهاجراً إلى المدينة ، واجتمع عليه المسلمون ، وصار للإسلام كلمة عالية ، وأظهرهم الله يوم بدر ، شرق اللعين أبو عامر بريقه ، وبارز بالعداوة ، وظاهر بها ، وخرج فارّاً إلى كفار مكة ، يمالئهم على حرب النبي ﷺ فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب ، وقدموا عام أحد ، فكان من أمر المسلمين ما كان ، وامتحنهم الله – عز وجل – وكانت العاقبة للمتقين .

وتقدم أبو عامر في أول مبارزة إلى قومه من الأنصار ، فخاطبهم ، واستمالهم إلى نصره وموافقته .

فلما عرفوا كلامه .. قالوا : لا أنعم بك عينا يافاسق ياعدو الله ، ونالوا منه ، وسبوه .

وكان رسول الله ﷺ قد دعاه إلى الله قبل فراره ، وقرأ عليه من القرآن الكريم ، فأبى أن يسلم وتمرد ، فدعا عليه رسول الله ﷺ : أن يموت بعيداً طريداً ، فنالته هذه الدعوة . وذلك أنه لما فرغ الناس من أحد ، ورأى أمر الرسول ﷺ في ارتفاع وظهور ، ذهب إلى هرقل – ملك الروم – يستنصره على رسول الله ﷺ فوعده ، ومنّاه ، وأقام عنده ، وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار ، من أهل النفاق والريب ، يعدهم ويمنيهم أنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله ﷺ ويغلبه ، ويرده عما هو فيه . وأمرهم أن يتخذوا له معقلاً ومرصداً ، إذا قدم عليهم بعد ذلك .

فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء ، فبنوه وأحكموه ، وفرغوا منه ، ورسول الله ﷺ يتجهزّ إلى تبوك ، فأتوه ، فقالوا : يارسول الله ، إنّا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة ، والليلة المطيرة ، والليلة الشاتية ، وإنّا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه ، فقال : إني على جناح سفر ، وحال شغل ، ولو قدمنا – إن شاء الله تعالى – أتيناكم ، فصلينا لكم فيه .

فلما نزل بذي أوان ، أتاه خبر المسجد .

فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم ، ومعن بن عدي ، أو أخاه عاصماً ، فقال : انطلقا إلى هذا المسجد ، الظالم أهله ، فاهدماه وأحرقاه .. فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف ، وهم رهط مالك بن الدخشم . فقال مالك لمعن : أنظرني حتى أخرج إليك بنار من أهلي .

فدخل على أهله ، فأخذ سعفاً من النخل ، فأشعل فيه ناراً ، ثم خرجا يشتدان ، حتى دخلا المسجد وفيه أهله ، فحرقاه ، وهدماه ، وتفرقوا عنه ، ونزل فيهم ما نزل [١] .

وقد بيّن الله – تعالى – أن الأغراض التى بنوا المسجد لأجلها أربعة :–

(١) أنهم اتخذوه لمضارة المؤمنين ، ومحاولة إيقاع الضرر بهم .

(٢) أنهم اتخذوه كفراً ، وتقوية للكفر ، وتسهيلاً لأعماله ، من فعل وترك ، كتمكين المنافقين من ترك الصلاة هنالك ، مع خفاء ذلك على المؤمنين ، لعدم اجتماعهم في مسجد واحد ، والتشاور في الكيد لرسول الله ﷺ وغير ذلك .

---

(١)القاسمي : محاسن التأويل ، ج ٨ ص ٣٢٦٣ .

(٣) أنهم اتخذوه للتفريق بين المؤمنين الذين هم هنالك ، فإنهم كانوا يصلون جميعاً في مسجد قباء ، وفي ذلك من مقاصد الإسلام الاجتماعية مافيه ، وهو التعارف ، والتآلف ، والتعاون ، وجمع الكلمة .

(٤) أنهم اتخذوه إرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل ، فهو للانتصار والترقب ، لمن حارب الله ورسوله أن يجيء محارباً ، فيجد مكاناً مرصداً له ، وقوماً راصدين ، مستعدين للحرب معه ، وهم هؤلاء المنافقون الذين بنوا هذا المسجد مرصداً لذلك [١] .

ولقد نبّه القرآن الكريم الرسول ﷺ وأمته من بعده ، إلي خطورة الفرقة ، وخطر المفرقين ، الذين فرقوا دينهم مِلَلاً ومذاهب ، فتمزقوا شيعاً وأحزاباً ، يضرب بعضهم رقاب بعض ، فضلوا عن سواء السبيل ، مما أفسدوا به دين الله – تعالى – ودنيا الناس . ويعد انفصالاً عن الدين وكفراً به ، **الأمر الذي يبرأ منه الرسول الكريم محمد ﷺ وتبرأ عنه أمة التوحيد والوحدة ، حتى تلقى الله بوجه مشرق ، وصفحة نقية ، على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك .**

قال تعالى : **﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾** [٢] .

ذكر الله – تعالى – هذه الأمة بما هي عرضة له ، بحسب سنن الاجتماع ، من إضاعة الدين ، بعد الاهتداء به ، بمثل ما أضاعه به من قبلهم ، وهو الاختلاف والتفرق فيه لمذهب من المذاهب ، وإمام من الأئمة ، فيضيع العلم ، وتنفصم عروة الوحدة ، وتصبح الأمة بعد أخوة الإيمان أمماً متعادية ، ليس لها مرجع متفق عليه ، يجمع كلمتها [٣] .

---

(١) محمد رشيد رضا : تفسير المنار ، ج ١١ ، ص ٣٨ .

(٢) سورة الأنعام ، آية : ١٥٩ .

(٣) محمد رشيد رضا : تفسير المنار ، ج ٨ ، ص ٢١٣ بتصرف .

وأنت ترى – من هذا الذي عرضنا له –: أن الإسلام جاء ليجمع القلب إلى القلب ، ويضم الصف إلى الصف ، مستهدفاً إقامة كيان موحد ، ومتقياً عوامل الفرقة والضعف ، وأسباب الفشل والهزيمة ، ليكون لهذا الكيان الموحد القدرة على تحقيق الغايات السامية ، والمقاصد النبيلة ، والأهداف الصالحة من عبادة الله ، وإعلاء كلمته ، وإقامة الحق ، وفعل الخير [١] .

الأخوة الإيمانية :

لقد كان من مستلزمات إلغاء الفوارق العرقية ، والعنصرية ، والإقليمية ، والطبقية ، التي نادى بها الإسلام ، أن أعلن الأخوة الإيمانية ، بين جميع المؤمنين .

قال تعالى : ﴿ .. .. إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ .. .. ﴾ [٢] وبذلك غدا المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ، من كل عرق ولون ولغة : أسرة إسلامية واحدة ، تربط ما بين أعضائها العقيدة الواحدة ، والتشريع الواحد ، والسلوك المتماثل [٣] .

ولا أحد يجهل قيمة الوحدة ، ودورها في النمو والتقدم والازدهار ، وكلنا نعرف الآثار السلبية للتمزق والتناحر الداخلي ، والصراع فيما بين الأمة الواحدة ، والشعب الواحد [٤] .

---

(١) سيد سابق : عناصر القوة في الإسلام ، ص ١٨١ .

(٢) سورة الحجرات ، آية : ١٠ .

(٣) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها ، ص ١٣٥ ، ط : دار المعرفة .

(٤) رسول الحبيب : نحن بشر أم بقر ؟! ، ص ٣٨ ، ط : دار الجيل ، ببيروت .

والوحدة الإسلامية كما تقوم على أسس وطيدة – عرضنا لها – فإنها كذلك تتكون من عناصر أصيلة :

أولها : وحدة الشعور بالأخوة العامة ، التي يشعر بها المسلم بأنه أخو المسلم ، قال رسول الله ﷺ : « **مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم ، كمثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** » .

وهذا العنصر قائم إلى حد كبير في الشعور [١] .

ثانيها : وحدة الثقافة ، بحيث يجمع المسلمين ثقافة دينية واجتماعية واحدة ، ليحمى الشعور بالأخوة .

وثالثها : التعاون التام بين المسلمين في الحرب والاقتصاد .

هذه العناصر تكوّن وحدة الأمة ، ولو تفرقت الأماكن [٢] .

والمجتمع الإسلامي مجتمع مترابط الأجزاء ، يعيش أفراده كالجسد الواحد ، ومن مظاهر الأخوة في الله : المساندة ، والمساعدة ، والتكافل ، والتواصل ، والتراحم ، والتناصح ، والتناصر ، والإجلال والإكرام ، وتفريج الكروب ، وستر العيوب ، ونبذ التحاسد ، والتباغض [٣] .

ومن منطلق الوحدة الإسلامية والأخوة في الله . كانت الأمة الإسلامية ، ولا زالت ، تملك رصيداً ضخماً ، يمكن استثماره لتحقيق

---

(١) محمد أبو زهرة : الوحدة الإسلامية ، ص ٩٨ ، ٩٩ ، بتصرف .

(٢) السابق ، ص ٩٩ .

(٣) أحمد عز الدين البتانوني : الدعوة إلى الإسلام وأركانها ، ص ١٧٥ ، ط. دار السلام ، بالقاهرة ، سنة ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥ م .

الإخاء الإسلامي العظيم ، والذي يجعلنا نحس بإخواننا المسلمين في كل مكان .

والذي يجعلنا أيضاً نعتز بالانتماء الإسلامي لكل بلد من بلاد المسلمين .

ولا شك أن الدعوة إلى الوحدة الإسلامية والإخاء الإسلامي سمة من سمات المجتمع الإسلامي الأصيل الذي يخطو على مجد الأسلاف لينير الطريق ، ويضع العلامات المضيئة للسائرين .

* * *

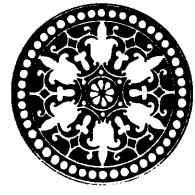

obeikandl.com

خاتمـــــة

وبجانب ما للأمة الإسلامية ، من مبادئ ، وأصول ، وقواعد ، وتعاليم ، تعمل على وحدة المجتمعات الإسلامية ، فإن هذه المجتمعات لها منطقة جغرافية ، تمتد من المحيط الباسفيكي شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً . مجتازة جاليات ودولاً إسلامية ذوات طاقات بشرية ، واقتصادية ، وعقلية ، وحضارية لا حدود لها . ومنطقة المجتمعات الإسلامية تتميز بأنها :-

* تقع من العالم موقع الحزام من جسم الإنسان ، بعيدة عن القطبين ، وسالمة من الأعاصير ، والطوفانات ، والثلوج ، والبراكين ، ولها دفء معين يساعد على تنوع الحاصلات الزراعية ، وتكاثر الحيوانات البرية .

* وأنها تمتلك من شواطئ البحار الكبيرة والصغيرة ، ما يمكنها من الإشراف على عدد كبير من أعظم موانئ العالم ، كما بها من الأنهار والمنابع ما يجعلها من أخصب المناطق ، وأكثرها ازدهاراً ونماءً ..

* وإن فيها من موارد الحضارة كالماء ، والنفط ، والمعادن ، والحاصلات الزراعية والحيوانية . ما يمكنها من إغناء الحضارة الإنسانية ، واستتباب الأمن ، وزيادة الرخاء .

وتلك أمور تجعل دول وشعوب الأمة الإسلامية قوة مرهوبة الجانب ، مخطوبة الود ، يتهيب العدو بأسها ، ويخشى سلطانها ..

ولكن هذا لا يتم إلا في ظل « وحدة دول وشعوب الأمة الإسلامية » .

وإذا كانت الدول الواعية تعمل على وحدة شعوبها اقتصادياً وسياسياً ، فإن الدول الإسلامية أولى الناس بالوحدة ، لأنها تملك الأصول الراسخة التي تقوم الوحدة على أساسها .

وإذا كانت مجموعة الدول الأوربية سعت لأن تكون لها وحدتها المتميزة ، اقتصادياً وسياسياً ونقدياً . أفلا يجدر بدول الأمة الإسلامية ، أن تقيم وحدتها الاقتصادية ، والسياسية ، والفكرية ، بجانب ما لها من وحدة العقيدة ، والشريعة ، والعبادات ، والأخلاق والمبادئ .

إن قيام الوحدة الإسلامية بين دول وشعوب الأمة الإسلامية يجعل الأمة لا ترضى أن تكون مقودة بغير قيادة الإيمان ، ويجعل الأمة في « وحدتها الإسلامية العملية » لا تعترف بتسليم قيادة البشرية لأيدي جاهلية ، لا تعرف معنى الإصلاح ، ولا تفكر بالخير ..

وإذا كانت الشعوب والدول الإسلامية تتطلع إلى وحدة إسلامية – بعد أن ذاقت مرارة التمزق ، والتفرق ، وبعد أن عاش بعضها في تبعية قاتلة للشخصية ، وبعد أن قادتها أحزاب إلى الهاوية – فإن هذا التطلع من شعوب ودول الأمة الإسلامية يضع أمام العلماء والمصلحين مسئوليات كبيرة . تجعلهم يسهرون ليل نهار ؛ لوضع المبادئ ، والقواعد ، والأسس التي تتوافر لقيام « وحدة إسلامية » تجمع دول وشعوب الأمة الإسلامية في سياسة واحدة ، واقتصاد واحد ، يوفر للأمة ما يؤهلها للانطلاق نحو التطلع الواعى ..

وقد لا يكون المرء بعيداً عن الصواب إذا أدرك أن قيام العلماء والمصلحين بمسئولياتهم ، في ترتيب الأمور ، ووضع القواعد والمبادئ سوف يمكن قادة الدول والشعوب الإسلامية من العمل على قيام « الوحدة الإسلامية » السياسة والاقتصادية .

ولا شك أن هذا طريق يحتاج إلى جهود المخلصين ، من الحريصين على مصالح الأمة الإسلامية ، الذين يعملون على أن تكون الوحدة الإسلامية تطبيقاً عمليّاً ، وسلوكاً حيّاً ، ملموساً فى الحياة ..

وفي ختام بحثي أقدم لتحقيق « الوحدة بين المسلمين » المقترحات التالية :-

(١) أن يقوم العلماء ، ورجال الفكر ، بوضع القواعد الأساسية ، والمبادئ السليمة ، التي تمكن من قيام وحدة : سياسية ، واقتصادية ، لشعوب ودول الأمة الإسلامية .

(٢) أن تقوم مبادئ « الوحدة الإسلامية » المقترحة ، على أساس من المبادئ الإسلامية ، لتنسحب هذه المبادئ بصبغتها الإسلامية على الوحدة الإسلامية ، فتحدد كل مساراتها ، واتجاهاتها .

(٣) أن تتاح الفرصة لتهيئة المجتمعات الإسلامية ، نفسيّاً وفكريّاً لهذه الوحدة . حتى يتوفر المناخ الملائم ، فتصبح الوحدة مطلباً عاماً تعمل الشعوب الإسلامية على تحقيقه .

(٤) يصاحب ذلك قيام الإعلام (صحافة ، إذاعة ، تليفزيون) وما جرى مجرى هذا .. في الإعداد لهذه الوحدة الإسلامية .

(٥) ألّا تمس هذه الوحدة الإسلامية النظم القائمة في مجتمعات الأمة الإسلامية ، من (ملكية ، وجمهورية ، وسلطانية ، وأميرية) وغير ذلك ، من نظم قامت في المجتمعات الإسلامية .

(٦) أن يكون لهذه الوحدة (جامعة) أو مؤسسة أو ما شابه ذلك يلتقي تحت اسمها المسئولون عن مجتمعات الأمة الإسلامية ، في موسم

الحج من كل عام ، ليكون مشهد الحجاج : في منى ، وفي عرفات ، وحول البيت دافعاً لانطلاق وسعي المسئولين إلى ما فيه الصلاح ، والإصلاح وخير المجتمعات الإسلامية .

(٧) أن تكون هذه الوحدة « سياسية واقتصادية » لتحقق آمال الشعوب الإسلامية التي التقت في وحدتها العقدية والتشريعية ، والخلقية ، والفكرية ..

(٨) أن تقوم سوق إسلامية مشتركة ، على غرار السوق الأوربية ، خاصة أن عوامل قيام هذه السوق الإسلامية متوفرة ، وإمكاناتها متاحة ..

(٩) أن تكون هناك مؤسسات إسلامية مختلفة تنشأ هنا وهناك ، تعمل على التخطيط الدقيق ، لتحقيق التكامل بين المجتمعات الإسلامية .

(١٠) لابد من أن يكون هناك إخلاص كامل لهذه الوحدة الإسلامية التي تتخطى وتتجاوز الإقليمية ، والعنصرية ، والأحزاب السياسية ، والأواصر اللغوية ، والقومية ، والإخلاص عنصر أساسي وضروري ، وبدون إخلاص لن يتم شيء .

(١١) أن تبذل الجهود المخلصة لإزالة المعوقات التي تقف أمام وحدة المسلمين ، وتجعل خطوات الوحدة تتعثر .

(١٢) أن تكون هناك قرارات سياسية ممن يملكون القرار لتنطلق المؤسسات الإسلامية ، تعمل على ترسيخ مبادئ الوحدة الإسلامية ، وقيامها ..

وإن تحقيق مبادئ الإسلام ، تحقيقاً عمليّاً وسليماً سوف يفرز وحدة سلوكية ، وفكرية ، وعاطفية ، متماسكة متكاملة ، دونما تناقض أو انحراف .. ..

* * *

obeikandl.com

المصادر والمراجع

(١) أبو داود :

أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي ، السنن ط . الحلبي ١٣٧١ هـ .

(٢) أبو زهرة :

الشيخ محمد أبو زهرة : الوحدة الإسلامية ، من بحوث المؤتمر السادس لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ١٣٩١ هـ .

(٣) ابن القيم :

زاد المعاد في هدى خير العباد ، ط . المطبعة العصرية ، ١٩٧٩ م .

(٤) ابن كثير :

البداية والنهاية ، ط . البابي الحلبي .

(٥) ابن كثير :

أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي : تفسير القرآن العظيم ، ط. كتاب الشعب ، مصر .

(٦) ابن عطية :

أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ط. إدارة المحاكم الشرعية بقطر ١٣٩٨ هـ .

obeikandl.com

(٧) ابن ماجه :

الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، السنن ، ط. الحلبي بمصر ١٩٥٣ م .

(٨) ابن منظور :

أبو الفضل محمد بن جلال الدين : لسان العرب ، ط. دار المعارف بمصر .

(٩) ابن هشام :

سيرة النبي ﷺ ط. كتاب التحرير بمصر .

(١٠) البخاري :

أبو عبد الله محمد بن إسماعيل

- صحيح البخاري ، ط. كتاب الشعب .
- والأدب المفرد ، ط. محب الدين ١٣٧٩ هـ .

(١١) بركة :

الدكتور عبد الفتاح بركة : الرسول خاتم النبيين ، ط. مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .

(١٢) حجازي :

الدكتور سامي عفيفي حجازي : العلاقة بين العقيدة والأخلاق ، والإسلام ، رسالة دكتوراه ، بمكتبة كلية أصول الدين ، جامعة الأزهر .

obeikandl.com

(١٣) حسن :

محمد أمين حسن : خصائص الدعوة الإسلامية ، ط. مكتبة المنار ، الأردن .

(١٤) الحكيم الترمذي :

أبو عبد الله محمد بن علي : نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول ، ط. دار الريان للتراث ، بمصر .

(١٥) الجندي :

أنور الجندي : منهج الإسلام في بناء العقيدة والشخصية ، ط. دار الاعتصام .

(١٦) دراز :

الدكتور محمد عبد الله دراز : الدين : بحوث ممهدة في تاريخ الأديان ، ط. دار القلم ، ١٤٠٠ هـ .

(١٧) دروزة :

محمد عزة دروزة : الدستور القرآني ، ط. دار الفكر العربي ، بيروت .

(١٨) دويدار :

أمين دويدار : صور من حياة الرسول ﷺ الطبعة الأولى ، القاهرة .

obeikandl.com

(١٩) سـابق :

الشيخ سيد سابق : عناصر القوة في الإسلام ، ط. دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ .

(٢٠) السايح :

الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح : هذا هو الإسلام ، ط. دار الثقافة بالدوحة ، ١٩٨٩ م .

(٢١) السايح :

الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح : الهجرة انطلاقة وبناء ، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ، ١٩٧٨ م .

(٢٢) السايح :

الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح : فلسفة الحضارة الإسلامية ، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ، ١٩٨٩ م .

(٢٣) شريدة :

عبد الله شريدة : جولة مع الرعيل الأول من أمة الإسلام ، ط. الدار السلفية ١٤٠٦ هـ القاهرة .

(٢٤) شلبي :

الدكتور أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامية ، الجزء الأول ، ط. النهضة المصرية بالقاهرة ، ١٩٨٣ م .

obeikandl.com

(٢٥) شلتوت :

الشيخ محمود شلتوت : من توجيهات الإسلام ، ط. مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، ١٩٥٩ م – الإسلام عقيدة وشريعة ، ط. دار الشروق ١٤٠٧ هـ .

(٢٦) الصالحي الشامي :

محمد الصالحي الشامي : سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ، ١٩٧٨ م .

(٢٧) الصواف :

الشيخ محمد محمد الصواف : نظرات في سورة الحجرات ، ط. مؤسسة الرسالة ، بيروت .

(٢٨) الطويل :

الدكتور السيد رزق الطويل : العقيدة في الإسلام منهج حياة ، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٨٢ م .

(٢٩) عبد العظيم :

الدكتور علي عبد العظيم : إن الدين عند الله الإسلام ، ط. مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، ١٤٠٢ هـ .

(٣٠) العويشق :

عبد الله أحمد العويشق : الأدب في خدمة الحياة والعقيدة ، ط. كلية اللغة ، الرياض .

obeikandl.com

(٣١) غلوش :

الدكتور أحمد غلوش : الدعوة الإسلامية ، ط. دار الكتاب اللبناني بمصر ، ١٩٧٥ م .

(٣٢) قطب :

الشهيد سيد قطب : خصائص التصور الإسلامي ، ط. دار الشروق ، ١٤٠٠ هـ .

(٣٣) القرطبي :

الجامع لأحكام القرآن ، ط. دار الكتاب العربي ، بيروت .

(٣٤) العقاد :

محمود عباس العقاد : العقائد والمذاهب ، المجلد رقم ٧ ، ١١ ، ط. دار الكتاب اللبناني بمصر ، ١٩٧٨ م .

(٣٥) قطب :

الشهيد سيد قطب : في ظلال القرآن ، ط. دار الشروق . بمصر .

(٣٦) كاريل :

الكسيس كاريل ، الإنسان ذلك المجهول ، ط. دار المعارف بمصر .

(٣٧) المبارك :

محمد المبارك : العقيدة في القرآن الكريم ، ط. دار الفكر ببيروت .

obeikandl.com

(٣٨) محمود :

الدكتور جمال الدين محمود : أصول المجتمع الإسلامي ، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة .

(٣٩) مسلم :

أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري : صحيح مسلم ، ط. دار إحياء الكتب العربية ، مصر .

(٤٠) موسى :

الدكتور محمد يوسف : الإسلام وحاجة الإنسانية إليه ، ط. الشركة العربية للطباعة ، القاهرة ، ١٩٦١ م .

(٤١) الميداني :

عبد الرحمن حبنكة الميداني : أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها ، ط. دار المعرفة بمصر .

(٤٢) النجار :

د. / محمد مصطفى النجار : عرب الجزيرة بين الجاهلية والإسلام ، ط. دار الطباعة المحمدية ، ١٩٦٣ م مصر .

(٤٣) النسائي :

الحافظ أبو عبد الرحمن بن شعيب النسائي ، ط. الحلبي بمصر ١٣٨٣ هـ .

obeikandl.com

(٤٤) نصير :

الدكتورة آمنة محمد نصير : مباحث في علوم العقيدة ، ط. مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٤٠٤ هـ ، بمصر .

(٤٥) الأوقاف :

المكتب الفني : جوانب من حياة الرسول ، سلسلة مكتبة الإمام رقم ٥٢ ، ط. وزارة الأوقاف المصرية ، ربيع الأول ١٣٨٩ هـ .

* * *

obeikandl.com